جاسم محمد مهلهل

١

٣

٢

العلم

بين يدى العالم والمتعلم

إهـــــــداء 2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

سلسلة الدعوة
(الرسالة الأولى)

جاسم محمد مهلهل



بين يدي العالم والمتعلم

مكتبة دار الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله والرضوان على أصحابه، والرحمة لخلفائه والسلف الصالح، والمغفرة لإخواننا الذين سبقونا بالايمان، والجزاء الأحسن لمعلمي الخير وذكر الله وماولاه...

و بعد

فان الاهتمام بآداب التعلم والتعليم ــ نظرياً وعملياً ــ كان من مقومات نهضة الأمة الاسلامية ثقافياً واجتماعياً، فقد اكسبتهم مراعاة هذه الآداب تقدير العلم حق قدره، وإحلال العلماء والمتعلمين المنزلة الرفيعة اللائقة بهم. وقد جاء هذا الكتاب تذكرة رشيقة تحتوي على ماينبغي الأخذ به لكل من العالم والمتعلم، ليكون مسعاهما في التعلم والتعليم ضرباً من العبادة، وقياماً بفرض الكفاية، وتحققاً بمتطلبات ما ينشر من علم، وليس حملاً للأسفار وتعرضاً لمزيد من الأوزار إن لم يكن الدخول في زمرة العلماء إلا للمباهاة أو المماراة أو حب الظهور.. وبالرغم من حصول الكفاية بما رجع اليه المؤلف من مصادر سلك السبل إليها ذللاً ــ منها القديم التراثي ومنها الجديد التربوي، يستخرج منها قطوفاً دانية، فان ما اقتبس منه يعتبر نموذجاً من نتاج جَمّ للسابقين درجوا على الاحتفال فيه بالعلم لأدنى مناسبة تمر بهم، على طرائق مختلفة تأخذ على طالب العلم شتى المسارات التي يسلكها، ليجد فيها المبادىء التي تسدد مسيرته، ولعل الاشارة إليها تحقق غرضاً مزدوجاً هو بيان تلك المناسبات واستدراك بعض المراجع المطبوعة التي لم يحصل الاستمداد منها في هذا الكتاب ولو بصورة التنويع للتنويه بها، والارشاد للاستفادة منها للمستزيد:

فقد أفردوا لذلك بعض الكتب، ومعظمها ظهر في مراجع هذا التأليف، ولو أنه لم تجر الاشارة الى ما كتبه الغزالي تحت عنوان «أيها الولد»، و«المعيد في أدب المفيد والمستفيد» للعلموي، ونحو كتاب «أدب الطلب» للشوكاني الذي اختار أن يعرض تلك الآداب وكأنها مذكراته خلال فترة التعلم...

واعتبروا الحديث عن العلم خير ما تشتمل عليه مقدمات الكتب أو فصولها الأولى، ليكون من أوائل ما يطلع عليه طالب العلم فيدعوه ذلك الى تصحيح النية واستجماع العزيمة ومراعاه حق العلم عند أخذه، فالبخاري في صحيحه عقد كتاباً للعلم ــ بعد

بدء الوحي والايمان ــ وكذلك الدارمي في سننه. وهذا الامام اتخذ من الأبواب لكتابه فرصة للتوسع في آداب التعلم والتعليم.. ونحوه صنيع الغزالي في الاحياء والنووي في مقدمة لكتابه «المجموع» وغيرهم كثير.

وقد استضاف علم مصطلح الحديث أبواباً ذات بال في آداب أخذ العلم وتبليغه ممثلاً في تحمل الرواية وأدائها، وهذا فضلاً عن الكتب المفردة لهذا الغرض.. وقد أخذ مؤلف الكتاب من بعضها.

وهناك مجالات أخرى بعضها في كتب الآداب الشرعية والأخلاق، وبعضها في كتب تصنيف العلوم وهي معروفة.. وإن من الضروري أن تشتمل مناهج التعليم على نبذ عن آداب التعلم والتعليم، لتخفيف مغبة تحول التعليم الى وظيفة، والتعلم الى منحة تأتي عفواً صفواً بصورة آلية لا يبذل الطالب للوصول اليه كثيراً ولا قليلاً، ولا يتغير الحال إن ضن بذلك القليل.. ولكن الثمرة تختلف جذرياً بين من يتلقى هذه الهبة الميسورة الأسباب بشكر النعمة وإعطائها حقها ليعود بالخير العميم، وبين من يصدق عليه أنه أعطى الحكمة وليس أهلا لها فرجع بغير طائل.. وأشير أخيراً الى قولة للخليل بن أحمد عن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، واذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر.. ولعل قراءة هذا الكتاب وأمثاله تخط الطريق الى كيفية إعطاء الكل للعلم لتحصيل بعضه.. وجزى الله مؤلفه خيراً لتجديد العهد بهذا الجانب المضيّع، ونفع الله بهذا العمل المتقن، وهو ولي التوفيق، وبنعمته تتم الصالحات.

د. عبدالستار أبو غدة

العلم بين يدي العالم والمتعلم

الحمدلله الذي خلق الإنسان من ماء مهين، وصوّره فأحسن تصويره وكرّمه بالعقل والفطرة الصافية وجعل تفاضل الناس بالعلم والبينة والعمل الصالح،والصلاة والسلام على أشرف وأعلم خلقه الذي علّمه ربه بعد أن لم يكن يعلم شيئاً فوجّهه للقراءة والعلم فقال له: (**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم...**) الآيات من سورة العلق.

وبعد... فالناظر في المحيط الإنساني الذي يحيط بنا ونعيش فيه يرى أنَّ الناس قد تكاسلوا في طلب العلم ورضوا بالكسل عنواناً لحياتهم، وازدروا العلماء فأنزلوهم في غير ماأراد الله لهم فظلموهم وظلموا أنفسهم، فوضع الشيء في غير مكانه ظلم. لهذا السبب أمسكت بالقلم... لأبيّن بعون الله تبارك وتعالى منزلة العلم وأهله: من عالم ومتعلم عسى أن تشمر لإيقاد هذه الشعلة من جديد فتنير لنا ولغيرنا الطريق فنسير جميعاً على نور وبصيرة.. فنصل بإذن الله تعالى إلى رضوان من الله وجنة عرضها كعرض السموات والأرض.

مكانة العلم في الاسلام:

إنَّ للعلم في الإسلام مكانة لم تكن قد أعطيت له من دين قط... وهذا نراه واضحاً في منهج الله... فهو تارة يجعله فرضاً... وتراه في أخرى يرغّب فيه بوضع الأجر الكبير في طريق من يسير في طلبه ويوضح بطرق مختلفة مكانة العلم من الناحية التعبدية ومنزلته بالنسبة للنوافل إلى آخر ذلك من الدوافع المختلفة.

وهذا واضح في الحديث:

حيث يروي أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله عليه وسلم فرضية طلب العلم فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (أ) فالقضية إذاً ليس فيها خيار... فلم المسارعة إلى الصلاة والصيام، والتكاسل عن السبب والشرط لصحة كل منهما؟ فمن لايعرف أركان وسنن الصلاة

(أ) اخرجه ابن عدي والبيهقي في شعب الايمان عن أنس والطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود والخطيب في تاريخ بغداد عن علي وغيرهم. وصححه الالباني (صحيح الجامع الصغير ٣٨٠٨).

فكيف يصلي وعلى أي طريقة يتقرب إلى الله عز وجل؟ فلنبادر إذاً إلى تعلم العلم وتبليغه إلى الناس فالدال على الخير كفاعله، وهذا ليس بقول بشر إنما هو ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم في تعلم العلم وتعليمه فهاهوذا مسلم يروي حديثاً عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه حيث قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أُبدِعَ بي فاحملني فقال! «ما عندي» فقال رجل يا رسول الله: أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دلّ على خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله» (أ) .

الله أكبر ما أعظم هذا الترغيب وما أعظم الأجر الذي سيعود على فاعل الخير والدال عليه وعلى من يبدأ بالتعلم ثم يقوم بتعليم غيره. فأي ترغيب بعد ذلك، وأي خسارة بعد ذلك لمن لم يكن عالماً أو متعلماً هذا ما فقهه أبو الدرداء رضي الله عنه حين قال: (العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في سائر الناس بعدهما). نعم لاخير فيهم بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم... فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى ومن والاه أو عالماً أو متعلماً)(ب)... ولهذا الخير الفياض والأجر المغداق أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم الحسد في العلم وهو استثناء من الأصل حيث إنه في الأصل لايجوز الحسد فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبدالله بن مسعود: (لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها و يعلمها)(جـ)

خير الدنيا والآخرة:

ومن الأمور المتفق عليها أنَّ الإنسان يوصي بأهم الأشياء وأكثرها نفعاً ومن المعلوم أنَّ الوصية تتناسب مع مكان الموصي فإن علا قدره علا قدر الوصية. ومن أعلى قدراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟... فهاهو يوصي معاذاً وعلياً رضي الله عنهما فيقول: (لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا ومافيها) (د) وقد تلقى هذه الوصية السلف الصالح رضوان الله عليهم، بالفهم والقبول فوعوها وتأثروا بها، فها هو عطاء رضي الله عنه يقول: (دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت: مايبكيك قال: ليس أحد يسألني عن شيء) يقصد طلب العلم لا الفتيا ــ الله أكبر ماأعظم هذا

(أ) أخرجه مسلم «مختصر صحيح مسلم ١١٠١»

(ب) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢) عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن مسعود وحسنه الالباني (صحيح الجامع الصغير ٣٤٠٨)

(جـ) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان (٤٦٧)

(د) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١٥٥٧) عن سهل بن سعد

الحرص على تعليم الناس. الله أكبر ماأعظم هذه الدموع التي سالت من وعي صاحبها لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقفة لسماع وصية:

وبهذا ونتيجة لتربية الرسول صلى الله عليه وسلم، في هذا المجال خطّ معاذ كلمات دافعة كشحنات كهربائية قوية تبعث الحياة في كل جسم ولو كان مريضاً هامداً، فقال: (تعلموا العلم، فإنَّ تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سُبُل أهل الجنة،وهو الأنس في الوحشة،والصاحب في الغربة،والمحدثُ في الخلوة،والدليل على السراء والضراء،والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتصُ آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خُلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطبٍ ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة. التفكر فيه يعدل الصيام،ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام،وبه يعرف الحلال من الحرام،هو إمامُ العمل والعمل تابعه،ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»(أ)(١)

مهمة لابد لها من استعداد:

وللعالم هذا مكانة يجب أن ينتبه إليها وهي التوقيع عن رب الأرض والسموات فحقيق به أن يعدّ له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكن في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإنَّ الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: **(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ)**.

وكفى بمن تولاه الله بنفسه شرفاً وجلالة إذ يقول في كتابه: **(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)**.(٢)

(أ) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٥/١) عن معاذ بن جبل مرفوعاً وموقوفاً وقال وهو حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناد قوي وروويناه من طرق شتى موقوفاً أ.هـ.

قال العراقي فأراد بالحسن حسن اللفظ قطعاً فإنه من رواية موسى بن محمد البلقاوي عن عبد الرحيم بن زيد العمي (والبلقاوي هذا كذاب كذبه أبو زرعة وأبو حاتم ونسبه ابن حبان والعقيلي الى وضع الحديث. والظاهر أن هذا الحديث مما صنعت يداه وعبد الرحيم بن زيد العمى متروك الحديث أيضا أ. هـ (التقييد والايضاح ٦٠) وقال المنذري: ورفعه غريب أ.هـ (الترغيب ٩٥/١)

من الأسماء والصفات نستفيد:

وهذا العالم من العلماء الذين اتصفوا بالصفات التي ارتضاها الله تعالى لعباده الذين بشّرهم بجناته، ومن أجمل الصفات في هذا المجال: الصفات التي اشتقّت من صفات الرب تبارك وتعالى. وسنتعرض إن شاء الله لصفة نسأل الله تعالى أن يصفنا بها، ألا وهي صفة الربانية، ومن الربانيين الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم... اسمع في هذا المجال قول ابن تيمية حين قال شارحاً معنى قوله تعالى: «**كونوا ربانيين**» قال مجاهد: «هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره فهم أهل الأمر والنهي». وذلك هو المنقول عن السلف في الرباني ونقل عن علي قال: «هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها». وعن ابن عباس قال: «هم الفقهاء المعلمون» وقال قتادة وعطاء: «هم الفقهاء العلماء الحكماء». قال ابن قتيبة: «واحدهم رباني وهم العلماء المسلمون». ثم ختم فقال: «إنهم منسوبون إلى التربية».(٣)

وفي فضل العالم ومكانته أنشد علي رضى الله عنه فقال:

ماالفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش به حياً أبداً	الناس موتى وأهل العلم أحياء (٤)

ونعمة العلم هبة من الله تعالى، مع طول الألفة نرى أنَّ الإنسان قد نسيها فكان تذكير الله عز وجل: (خلق الإنسان علّمه البيان). فبعد الخلق نرى الإنسان ينطق ويعبّر ويبين ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين وكل هذه العظمة نسيها الإنسان بطول الألفة فردّنا القرآن إليها ليوقظنا لتدبرها في مواضع شتى. (٥)

والعلم هذا فضل من الله تبارك وتعالى يمنّ به على عباده، وقد بينّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(أ) وبعد هذا التبيان ووضوح الصورة لصاحب البيان لايستنكر أحد تفضيل السلف الصالح رضوان الله عليهم العلم على النوافل... ولم لا وقد قال صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم).(ب) فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد من العلم، وإن كان العابد لايخلو من علم بالعبادة التي يواظب

(أ) أخرجه الشيخان (اللؤلؤ والمرجان ٦١٥) عن معاوية.

(ب) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) عن أبي أمامة وقال هذا حديث غريب وصححه الالباني (صحيح الجامع الصغير ٤٠٨٩).

عليها، ولولاه لم تكن عبادة. (٦) وأهل العلم أولئك الذين استحقوا هذه المنزلة، أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم. قيل وكيف ذلك؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة هذا مابينه يحيى بن معاذ. (٧)

وهذا قتادة يقول: إن مطرفاً يعني (ابن الشخير) قال: (فضل العلم أفضل من فضل العبادة ــ يعنى النوافلَ وخير دينكم الورع(٨).. وهذا القول لم يبتدعه ابن الشخير بل فهمه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إليَّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح)(٩)(أ) كل ذلك لكون العمل بدون علم مفسدة.. وهذا ما بيّنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

حين قال: (من عمل في غير علم كان مايفسد أكثر مما يصلح)(ب).

العلم شرف الإنسان:

وشرف العلم لايخفى على أحدٍ، إذ هو المختص بالإنسانية، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات... كالشجاعة، والجرأة، والقوة، والجود، والشفقة وغيرها، سوى العلم، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له.(١٠)

مواقف الناس من العلم الديني:

وهذا التكريم يختلف الناس في الاستفادة منه فهو كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري: «مَثَلُ مَابَعَثَني الله بِهِ مِنَ الْهُدىَ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غيث أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْها طائفة طيبة قَبلَتِ الماءَ، وأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنِهاَ أجادِب أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بهاَ النّاسَ، فَشَربوُا منها وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنها طائِفَةً أُخْرىَ، إنَّما هِي قِيعان لاَ تُمسكُ مَاءً ولاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دين الله تعالى ونفعه الله بما بَعَثَني، فَعَلمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدىَ الله الّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ» (جـ).. ويا للعجب بعد هذا

(أ) جامع بيان العلم

(ب) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٣٣/١)

(جـ) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١٤٧١)

البيان كيف يأبى جهال الأنام إلا أن يَكونَوا من القيعان، و ينسون وصية لقمان لابنه الفهامة الواعي في تبيان ماللحكمة وأثرها حين قال: (يابني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك).

في آيات القرآن عبرة:

ومن الأمور التي يتبين فيها الإنسان ماللعلم من مكانة، الآيات التي تروي قصة سليمان عليه السلام في طلبه عرش بلقيس: (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقويّ أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)(١١)

وبهذا نرى أنَّ الإسلام قد خاطب في الإنسان عقله وحواسه وجوارحه التي تنفذ به إلى المعرفة والتعلّم، فا سترعى انتباهه إلى مفاتيح العلوم بالنظر والمشاهدة والتأمل والاعتبار وغير ذلك مما يدفع به إلى ذروة المعرفة والوقوف على الحقيقة الكبرى لهذا الكون، ومن ثمَّ لا نستغرب اهتمام الإسلام بالعلم هذا الاهتمام الكبير حيث كانت أول آيات بينات نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق). تنبئه بالرسالة وتحمّله مسؤوليتها وتصدع أول كلماتها بالقراءة وهي مفتاح التعلّم وتبين آياتها، يبين الله عزوجل لعباده ما لم يعلموا وتذكر القلم وسيلة الكتابة وحفظ العلم ونقله (١٢) لذلك نرى أفضل ماا كتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينها سبحانه في قوله: (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد.لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون).

وقوله: **(ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير).** وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبّه المؤهلون للمراتب العالية. (١٣)

والعلم دليل الحياة لذلك أنشدوا فقالوا:

وفي الجهل- قبل الموت- موت لأهله   وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم   فليس لهم حتى النشور نشور

حيث إن الجاهل ميت القلب والروح وإن كان حي البدن فجسده قبرٌ يمشي على وجه الأرض، قال تعالى: **(أَوَمَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثلُه في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زينّ للكافرين ما كانوا يعملون).** الأنعام: ١٢٢(١٤)

وبعد ذلك نتبين أنَّ القيادة إنما هي للأحياء فنلاحظ أنَّ العوامل التي تؤدي إلى الظفر بقيادة الشعوب، وبسط السيادة على العالم، من استقراء التاريخ ــ تاريخ مصر القديم وبابل واليونان ثم الشعوب الإسلامية ثم أوروبا بعد ذلك ــ إنما هي المعارف والعلوم، وعلى هذا فقد شرف الله سبحانه السلالة البشرية بخلافتها لهذا العالم الأرضي بالمعرفة ولذلك حبا الله بني آدم بنعمة «السمع» و«البصر» و«الفؤاد» في الوقت الذي لم يمنح مخلوقاته الأخرى إلا القليل منها، ولهذا السبب وحده استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض، وإن تهيأ له أسباب السيطرة على المخلوقات كافة، ومن بين النوع البشري نفسه فازت بالزعامة تلك الفئة من الرجال أو الطبقة من الناس التي استطاعت التفوق على غيرها وإحراز قصب السبق في ميدان العلم، لأن مجموع الجنس البشري إنما امتاز على غيره من مخلوقات الله على هذا الأساس، (١٥) وعلى هذا فالذي لم ينل العلم ذليل وإن كثرت آماله وقليل وإن جَمَّ ماله. (١٦) وقبل الانتقال إلى الفقرة القادمة لابد من معرفة أمر مهم حتى يزول الإبهام.

أول ما يبدأ به من العلوم:

إنه علم الحال... حيث لايفترض على كل مسلم طلب كل علم، وانما يفترض عليه طلب علم الحال... ولذلك قيل: أفضل العلم علم الحال، وأفضل العمل حفظ الحال، حيث يفترض على كل مسلم طلب علم مايقع له في حاله في أي حال كان، حيث إنه لابد لكي يدخل الإنسان الإسلام من النطق بالشهادتين فيفترض عليه في هذه الحالة معرفة الشهادتين وكذلك لابد له من الصلاة فيفترض عليه علم مايقع له في صلاته بقدر مايؤدي به فرض الصلاة، وكذلك في الصوم والزكاة إن كان له مال، والحج إن وجب عليه... وكذلك في البيع إن كان يتجر... وقد قيل لمحمد بن الحسن

رحمه الله تعالى: (ألا تصنف كتاباً في الزهد؟ قال: صنفت كتاباً في البيوع!! يعني أنَّ الزاهد هو من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات... وكذلك في سائر المعاملات والحرف وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه... وكذلك يفترض عليه علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضا .. إلخ. فإنه واقع في جميع الأحوال. (١٧) ثم هاهو ابن المبارك يوضح هذه المسألة بكلمات بينة حين سأله الحسن بن الربيع عن قول النبى صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (أ) فقال: «ليس هو الذى يطلبونه ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه».. الله أكبر ماأعظم الإسلام في هذا التيسير والتسهيل.. فلو كان الفرض في كل علم يتعلق بالدين فأين المفر من التقصير؟! بهذا وأمثاله ترجم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله: **(يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا)**. الحديث (ب) فيارب أحطت بكل شيء علماً، أفبعد هذا يجوز تقصير وجهل؟ وتجنِ على منهج الله بالعبادة على غير مايريد الله رب البشر!!

إذاً فالحكمة التي أعطاها الله لمن اصطفاه من خلقه في قوله عزوجل في يحيى عليه السلام: (وآتيناه الحكم صبياً) وقوله في عيسى عليه السلام: (قد جئتكم بالحكمة) هي طاعة الله والاتباع لها، والتفقه في دين الله والعمل به.. وهي كما أوضحها الامام مالك حين قال: (الحكمة والعمل نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل، (١٨) ولكن عليه علامة ظاهرة وهو التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود) وقد كانت هذه الكلمات من الإمام مالك قبساً من نور تكلمت به شفتا ابن مسعود رضي الله عنه من قبل حين قال: (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم خشية الله). (١٩)

من أهداف الحياة:

بعد هذا الأمر ووضوحه فهم ابن عون معنى الحياة فأحبها لأمور فقال: (ثلاث أحبهن لي ولإخواني: هذا القرآن يتدبره الرجل ويتفكر فيه فيوشك أن يقع على علم لم يكن يعلمه، وهذه السُنة يتطلبها ويسأل عنها، ويذر الناس إلاّ من خير). (٢٠)

وبذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله في تعريفه للفقه: (الفقه معرفة النفس مالها

(أ) سبق تخريجه ص٧.

(ب) أخرجه الشيخان (اللؤلؤ والمرجان ١١٣١) عن أنس.

وماعليها .. وما العلم إلاّالعمل به والعمل به ترك العاجل للآجل).(٢١)

فضل العلم على المال:

بهذا الاستطراد يتضح قول علي رضي الله عنه حين قال لكميل بن زياد: ياكميل، العلم خير لك من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تُنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق) (٢٢).

وهاك مثالاً يبين فضل العلم على الإنسان. إنه يدور في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد. إنها قصة تلميذ الإمام أبي حنيفة (أبو يوسف) التي يرويها علي بن الجعد فيقول «أخبرني أبو يوسف قال توُفي أبي إبراهيم بن حبيب، وخلفني صغيراً في حجر أمي فأسلمتني إلى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أسمع فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم. فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة مالهذا الصبي فساد غيرك!! هذا صبي يتيم لاشيء له وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: قرّي يارعناء ها هوذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق — فانصرفت عنه وقالت له: أنت ياشيخ قد خرفت وذهب عقلك!... فأكمل أبو يوسف فقال: ثم لزمت أبا حنيفة وكان يتعهدني بماله فما ترك لي خلة، فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس هارون الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قَدّم إليّ هارون الرشيد فالوذجاً بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي مـمَّ ضحكت؟ فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين قال: لتخبرني — وألح علي — فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري: إنه العلم ليرفع وينفع ديناً ودنياً، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله مالايراه بعين رأسه) (٢٣)

وهذا عبدالله بن كثير يروي عن أبيه أنه قال: (ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ ولايستطاع العلم براحة الجسم).

الاستفادة وكيفيتها:

بعد معرفة مكانة العلم والفضل المترتب عليه، ينبغي أن يكون طالب العلم مستفيداً

في كل وقت حتى يحصل له الفضل..

وطرق الاستفادة :

١ ـ تسجيل طالب العلم للفوائد:

أن يكون معه في كل وقت دفتر وقلم حتى يكتب مايسمع من الفوائد فقد قيل: ما حفظ فرّ وما كتب شيئاً قرّ، وقيل العلم مايؤخذ من أفواه الرجال لأنهم يحفظون أحسن مايسمعون و يقولون أحسن مايحفظون. (٢٤)

سبل التحصيل:

قيل نيل العلم يكون بستة أمور:

ألا لاتنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبُلغةٌ ... وإرشاد أستاذٍ وطول زمان (٢٥)

ومن خلال السطور القادمة سنتبيّن حقيقة هذه الأمور الستة وكيف تفاعل معها السلف رضوان الله عليهم وكيف عاشوها في واقع حياتهم... فستتعرض من خلال نفحات القلم إلى الذكاء ومسبباته، وتوفيق الله سبحانه إليه، وحرص العلماء و بذلهم وتفانيهم، وسنتبين صوراً عجيبة للصبر لولا السنة لعددناها من الأساطير. وكيفية الاستفادة من الأستاذ والعلاقة معه وعدم الاستعجال في تحصيل العلم... كل هذه الأمور لا نألو جهداً في العيْش معها حتى تكون لنا شعاعاً نمشي في ضوئه إن شاء الله... كما أن من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملل:

عدم البطنة :

أي أكل القدر اليسير من الحَلال... وهذا الأمر يبينه لنا أئمة سبقونا في الهدى فاستفادوا وأفادوا،... فقال لقمان لابنه: ـ (يابني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة، وقال سحنون: (لايصلح العلم لمن يأكل

حتى يشبع شبعاً) ويزيد هذه القضية ثبوتاً رواية المقداد بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ماملأ آدمي وعاءً شراً من بطنٍ، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) (أ).

ثم قال المقداد فإن زاد على ذلك فالزيادة إسراف خارج عن السنة، وقد قال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)(٢٦).

اتخاذ القرين والمشاورة:

وحتى تتحرك الهمة وتندفع فلابد من قرين جيد يساعد على التحصيل كما قيل:

لاتصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسدُ

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... كالجمر يوضع في الرماد فيخمدُ(٢٧)

و(المرء على دين خليله)(ب) كما أخبر بذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الزمان الذى أصبح فيه المنكر معروفاً والمعروف منكراً، يندر الصديق صاحب الهمة الدافع للعمل والمثابرة،... والحصول عليه لايكون إلا بعد البحث والمشورة... فالمشورة طريق الصواب، وتركها طريق الهلاك. فالمشورة والاستخارة كثيراً ماكان يدعو إليهما الصحابة رضوان الله عليهم، ويحرصون عليها، لذلك قال علي رضي الله عنه: (ما هلك أمرؤٌ عن مشورة) وقيل: الناس رجلٌ، ونصف رجلٌ، ولاشيء: فالرجل من له رأي صائب ويشاور ــ ونصف الرجل من له رأي صائب ولكن لا يشاور أو يشاور ولكن لا رأي له ــ ولا شيء هو من لارأي له ولا يشاور. فتخير أنت أي الناس تريد أن تكون.. أما إن أردت معرفة من تستشير ليرشدك إلى القرين الذى يأخذ بيدك إلى طريق العلا فاسمع جعفر الصادق رضي الله عنه، يبين لسفيان الثوري من يتوجه إليه

(أ) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩) وأحمد (١٣٢/٤) وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٥٥٥٠).

(ب) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد ٣٠٣/٢، ٣٣٤) والحاكم (١٧١/٤) وقال صحيح إن شاء الله ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن غريب وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٣٥٣٩) عن أبي هريرة.

في الاستشارة فيقول: «شاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى»(٢٨)

الصبر والجد طريق التحصيل:

وبعد معرفة طريق الاستفادة علينا بالصبر والجد والمواظبة. فبهذا السبيل نستطيع التحصيل... وقد قيل: من طلب شيئاً وجدَّ وجد. ومن قرع الباب ولجَّ ولجّ..
وبقدر ماتتعنى تنال ماتتمنى.

بقدر الكدِّ تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العِزَّ ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي (٢٩)

ويكون ذلك بالحرص على الازدياد من طلب العلم وذلك بملازمة الجد والاجتهاد... فنهومان لايشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا ــ وذلك لأنَّ درجة العلم درجة وراثة الأنبياء ولا تُنال المعالي إلا بشق الأنفس. وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير «لا يستطاع العلم براحة الجسم». فالمواظبة سبيل النجاح ... وقد قال أبوحنيفة لأبي يوسف رحمهما الله تعالى مبيناً هذه الحقيقة: كنت بليداً فأخرجتك المواظبة. وإياك والكيل فإنه شؤم وآفة عظيمة. وقال أحدهم مخاطباً نفسه:

دعي نفسي التكاسل والتواني ... وإلا فاثبتي في ذا الهوان
فلم أر للكسالىٰ الحظ يعطي ... سوى ندم وحرمان الأماني (٣٠)

استمرارية طلب العلم:

فبالصبر تنال المعاني، فهم ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان يأتي عبدالله بن عبدالله يسأله عن علم ابن عباس. فربما أذن له وربما حجبه. وقد قيل: (من لم يحتمل ذُلَّ التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً). وهذا يوضحه الشعبي حين قيل له: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: ينبغي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب، والمثابرة على طول طريق التعلم عنوان الهمة ودوام العلم. فقد سأل ابن مناذر أبا عمرو بن العلاء: «حتى متى يحسن المرء أن

يتعلم؟ فقال: مادامت تحسُن به الحياة».. وسُئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: «أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح».. ولم لايكون أقبح ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)(أ) ولم لايكون قبيحاً، وعلى علمه ينبني علم الآخرين من الناس.. ثم هذا ابن أبي غسان يبين طول الطريق لطالب العلم فيقول: «لاتزال عالماً ماكنت متعلماً، فإذا استغنيت كنت جاهلاً»(٣١) إذن فالهمة والصبر والمصابرة من أهم الوسائل للاستفادة والتحصيل والنجاح في طلب العلم، وعكسها التكاسل والاتكال والتواني.

قوله: لنا فيها سهم:

وأضر مايضر العالم والمتعلم القول القائل: «ماترك الأول للآخر شيئاً». ففيه تثبيط عن طلب العلم والبحث والتجديد.. ولكن أنفع مايكون للعالم وأهم مايرفع من شأنه وهمته، قول علي رضي الله عنه «قيمة كل امرىء مايحسن» ففي هذه الحروف القليلة الهمة الدافعة لتعلم كل شيء، فعلى قدر مايحسن إنسان ترتفع مكانته بين الناس ويتلفت إليه في وقت الأزمات.

معادلة: جهد أكثر تحصيل أكثر:

وللعلماء في هجر الراحة مثال لنا نقتدي به ونسير على نهجه وهذا مايرويه ابن عباس رضى الله عنهما حين قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: (هلُم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير. فقال: ياعجباً لك ياابن عباس: أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال ابن عباس: «فتركت ذاك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه، وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك؟ هلاً أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث. قال: فعاش هذا

(أ) هو جزء من حديث أخرجه أحمد (٥/٢٣١) والترمذي (١٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) عن معاذ بن جبل وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٥٠١٢).

الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني فقال: هذا الفتى كان أعقل مني(٣٢)، تعب فأجهد نفسه وصبر فنال مانال من رفعة في الدنيا والآخرة... بهذا الصبر وبهمة سعيد بن جبير التابعي الجليل المتوفي سنة ٩٥ هـ رحمه الله تعالى التي رواها الدارمي في سننه (١ : ١٠٥) حيث قال سعيد: (كنت أسير مع ابن عباس في طريق مكة ليلاً وكان يحدثني بالحديث فأكتبه في واسطة الرحل حتى أصبح فأكتبه).، (٣٣) بهذه الهمة تحرك سعيد وكتب فنال مانال. فإلى متى نحن في كسل وتوان. سهر سعيد وأمثاله فأوصلوا لنا ما إن أخذْنا به فلن نضل بعدَه أبداً. أوصلوه بقلة النعاس وكثرة السجود وبعملهم بهذا ترجموا قول القائل:

(سرور الناس في لبس اللباس   وجمع العلم في ترك النعاس)

توضيح :

وقد يكون مما يورث التفرق للعلم الفقر... ولذلك يجب الصبر عليه وهو على حالين:

١ ــ حال تتبلبل فيها الخواطر من الهم والغم وكثرة العيال وانكسار النفس الناشىء عن ذلك... ومإلى هذا من علل الفقر التي تأخذ بالأنفس والتلابيب. ولنعبر عن هذا بالفقر الأسود كما يقال وهو الذي يبدد الذهن ويقتل النبوغ، ويذوي صاحبه كما تذوي الشجرة المخضرة اذا انقطع عنها الماء (وهذا مذموم).

٢ ــ وحال ثانية يكون الإنسان فيها فقيراً ولكنه يكون خفيف المؤونة ثقيل الطمأنينة بالله، لايؤثر الفقر إلا على سطح جسده ومظهر لباسه، أمَّا خاطره فمستقر مشرق ثابت متجمع. ولنسمِّ هذا بالفقر الأبيض كما يقال، وهو نعمة بالنظر إلى طالب العلم في أول حياته حتى لاتشده الدنيا إلى مشاغلها وغمراتها ومفاتنها فإن التقلل من الدنيا أمكنُ لحفظ العلم.

وهكذا يطلب العلم فلو اعتمد ابن عباس كما اعتمد صاحبه على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وصل إلينا فقه حبر هذه الأمة ولما نُسِيءَ له في أثره... ولو اعتمد كل منا على غيره من العلماء والدعاة فلن يصل العلم إلى الناس. وسيحاسبنا الله تعالى على إهمالنا نعمة القراءة والكتابة التي وفقنا إليها ولم نستغلها في الدراسة

والبحث والاطلاع والتزود من العلم والمعرفة... ولولا الارتحال والسير في البلاد لما وصلت لنا الأحاديث وجمعت لنا في بطون الأمهات، إنه السير والارتحال الذي يخبرنا به الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه في كتاب العلم (١ : ١٥٨) باب الخروج في طلب العلم «ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس في حديث واحد»... وهكذا كابد جابر مشقة شهر من عذاب السفر لينال حديثاً.. ونتكاسل نحن أن نسير مسافة دقائق حتى نصل إلى حلقات العلم أو إلى مكتبات الحكمة والفقه... ثم نريد أن نصل إلى ما وصلوا!!! ذلك أن ما يحصله الإنسان في الحلقات والمدارس اكثر بركة وثباتاً مما يحصله منفرداً، وللحلقات العامة والعلم في المسجد نور خاص لا يتحسسه إلا من يقارن بين الماضي والحاضر فالعودة إلى المسجد وإحياؤه بالعلم والذكر وربط المسلمين بحلقاته هي بداية البدايات لإحياء الإسلام فمتى كانت في المسجد حلقات العلم التي تستوعب كل جوانب الثقافة الاسلامية وصار المسلم ينتقل من حلقة إلى حلقة ليكمل ثقافته الاسلامية وقام هو بدوره في تعليم ما تعلم عندئذ نكون قد بدأنا البداءة الصحيحة.

إن مسجداً واحداً في البلد الواحد من هذا النوع إذا قامت به مثل هذه الحلقات ونظم أهله رحلات العلم والدعوة إلى العلم داخل الحلقات يمكن أن يحيا به هذا البلد. فاصبر يا من شمّرت إلى طريق خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمع وصية لقمان لابنه «لا تجادل العلماء فتهون عليهم و يرفضوك ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك و يشتموك ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق»... بهذه الوصايا كان العلماء والاتقياء يوصون أولادهم وبها كانوا ينطلقون لتحقيق ما يريد منهم ربهم الذي خلقهم وأنعم عليهم.

وبعد معرفة الاستفادة وكيفيتها.. فلنقف لنعرف كيف يحصل المسلم على العلم؟ وما طرق التحصيل؟ وما العادات الموروثة؟ للتفقه والتعلم؟ كل هذه الاسئلة سنتعرف على إجابتها ونفهم حقيقتها عندما نتكلم ونسترسل في..

مسببات العلم:

أولاً: القراءة:

فيقول تعالى: (**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم**).

ثانياً: السير في الأرض والسياحة:

فيقول تعالى: **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)** (٣٤) الحج..٤٦

وفي الرحلة يقول سعيد: «إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»(٣٥)... وهذا بشر بن عبيد الله الحضرمي يقول: «إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه»(٣٦)... نعم بهذه الروح كانوا يتحركون ويبحثون، فلا الكسل ولا النوم يورث العلم، ولكن الحركة والجد والاجتهاد... وهناك ملاحظة يجب الانتباه إليها وهي أن الرحلة ليست مقصودة لذاتها ولكن المقصود من الرحلة أمران:

أحدهما: تحصيل علوم الإسناد وقدم السماع. والثاني: لقاء الحفّاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم، فإذا كان الأمران موجودين في بلد ومعدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة، أو موجودين في كل منها... فليحصل حديث بلده ثم يرحل. (٣٧)

ثالثاً: عدم الاستحياء:

تحت هذا العنوان تكلم السلف كثيراً، ومما قالوا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من رق وجهه رق عمله...» وقيل: من رق وجهه عن السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.. وقيل: لا ينال العلم مستحٍ ولا متكبر. وقيل:

ليس العمى طول السؤال وإنما ... تمام العمى طول السكوت على الجهل

نعم: الحياء من شعب الإيمان. ولكن ليس في مجال التعلم. فأيُّ إيمانٍ أضخم من إيمان نساء الأنصار.. اللاتي كانت إحداهن: يقتل زوجها وأولادها ولاتسأل عنهم وتسأل كيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هنُ اللائي قالت عائشة رضي الله تعالى عنها وعنهن: نِعْمَ النِّساءُ نِساءُ الأَنصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ في الدِّينِ». (٣٨)(أ)

(أ) أخرجه البخاري تعليقاً عن عائشة (فتح الباري ٢٢٨/١) ووصله مسلم (٣٣٢) واللفظ له.

وعدم الاستحياء يعني كثرة السؤال والتملق:

أ ــ فأما السؤال فاسمع أئمة الهدى يقولون: زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ماجهلت واعمل بما علمت... بهذه الكلمات نطق عبدالله بن مسعود وعليها عقّب وبيّن ابن شهاب حين قال: العلم خزانة مفاتيحها المسألة. وقيل:

إذا كنت لاتدري ولم تك بالذي   يساءل من يدري فكيف إذاً تدري(٣٩)

قصة منها نستفيد:

قدم رجل على ابن المبارك وعنده أهل الحديث فاستحى أن يسأل وجعل أهل الحديث يسألونه، فنظر ابن المبارك إليه... فكتب بطاقة وألقاها إليه فإذا فيها:

إن تلبثت عن سؤالك عبدالله   ترجع غداً بخفّي حنين
واذا أعنت الشيخ بالسؤال تجده   سلساً يلتقيك بالراحتين
وإذا لم تصح صياح الثكالى   قت عنه وأنت صفر اليدين

فبالسؤال إذاً تنال العز والعلم والرفعة، ولذلك عندما قيل للأصمعي: «بم نلت مانلت؟ قال بكثرة سؤالي وتلقي الحكمة الشرود».

هذا ما كان في الماضي (الرحلة في طلب الحديث)، والرحلة في كل زمان تكون لأمر خاص به، فالرحلة اليوم لمعاهد العلم والجامعات ولقاء أفذاذ العلماء والاستفادة من علمهم والتتلمذ على أيديهم.

وصية:

ثم اسمع وصية الامام علي رضي الله عنه حين قال: «خمس احفظوهن ولو ركبتم الإبل: لا يخاف العبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولايستحي جاهل أن يسأل ولايستحى عالم إن لم يعلم أن يقول: الله اعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولا خير في جسد لا رأس له، ولا إيمان لمن لاصبر له».

وعدم الاستحياء في طلب المسألة عن طريق السؤال لامن العلماء فقط ولكن من كل الناس... لذلك عندما قيل لأبي يوسف: بمَ أدركت العلم؟ قال: «ماستنكفت

من الاستفادة ومابخلت بالإفادة». وكان بذلك متأسياً بآل النبي صلى الله عليه وسلم، فها هو ذا ابن عباس رضي الله عنهما عندما قيل له: بم أدركت العلم؟ فقال: (بلسان سئول وقلب عقول). وإنما سمي طالب العلم «ما تقول» لكثرة ما كانوا يقولون في الزمن الأول ماتقول في هذه المسألة؟!(٤٠)

ب ـ وأما التملق:

فمذموم إلا في طلب العلم فإنه لابأس أن يتملق طالب العلم أستاذه وشركاءه لتستفيد منهم وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة، وإن سمع المسألة الواحدة والكلمة الواحدة ألف مرة..

سبيل الحفاظ على العلم:

أ ـ المحافظة على الالتزام بالشرع:

يقول أحد الصالحين مبيناً هذا الأمر:

كن للأوامر والنواهي حافظاً . وعلى الصلاة مواظباً ومحافظاً
واطلب علوم الشرع واجهد واستعن بالطيبات تَصِرْ فقيهاً حافظاً

ب ـ قراءة القرآن الكريم:

وقد قيل (ليس أزيد للحفظ من قراءة القرآن)

رابعاً: اختيار الأوقات والأماكن:

أ ـ اختيار الأوقات:

إن معرفة كل وقت وما يصلح له لأمر مهم ليستطيع الإنسان أن يستفيد من جميع ساعات حياته كأحسن ما يستفيد منه الكيّس من الناس. ولذلك قيل: أجمل الأوقات للحفظ: الأسحار، وللبحث: الأبكار، وللكتابة: النهار، وللمطالعة والمذاكرة: الليل.

على أنَّ هذا ليس بقاعدة عامة لا يخرج عنها المرء وإنما هي تجارب، ولكل امرىء ظروفه وتجاربه.

ب ــ اختيار الأماكن:

أما بالنسبة للأماكن فها هوذا الخطيب البغدادي يخبرنا فيقول: (أجود أماكن الحفظ الغرف... وموضع بعيد عن الملهيات.. وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار.. وقوارع الطرق.. وضجيج الأصوات لأنها تمنع من خلو القلب(٤١).. ومما يزيد ويثبت الحفظ مع اتباع قانون الأوقات: التكرار فينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات والذي قبله اثنتين والذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى للحفظ كما جرّبه بعض طلبة العلم في مذاكرتهم وحفظهم. والناس في ذلك يتفاوتون كلّ حسب طاقته وقدرته.

المخافتة:

كما ينبغي اعتياد المخافتة في التكرار لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط ولايجهر جهراً يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها.(٤٢)

النشاط في المدارسة:

والنشاط في المدارسة أمر مهم لطالب العلم ولشحذ الهمم وهذا كان دأب السلف رضوان الله عليهم. عن أبي يوسف أنه كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط وكان صهره عنده يتعجب من أمره... ويقول أنا أعلم أنه جائع منذ خمسة أيام، ومع ذلك يناظر بقوة ونشاط...(٤٣) وهذه القوة والنشاط في المدارسة لابد منها لأنَّ الإنسان يأتي إلى هذه الحياة مجرداً عن العلم والمعرفة... وإن كان مزوداً بالاستعداد والقوى والأدوات التي يمكن بها أن يعلم ويعرف وبهذا يقول الله سبحانه وتعالى: **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون).** النحل: ٧٨ فالسمع والبصر والعقل أدوات يكتسب بها الإنسان معلوماته وهي المنافذ التي يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره ويدرك شؤونه وينتفع بما أودع فيه من بركات. والذين لاينتفعون بهذه الأدوات قد انسلخوا من

إنسانيتهم وانتظموا في عداد الحيوانات. (٤٤)

خامساً: معرفة قوانين التعلم:

وهذه المعرفة تساعد على التعلم على اعتبار أنَّ الإنسان يتحرك بنور ومعرفة بعيداً عن الارتجال والتخبط وهي (أي القوانين) كثيرة سنتطرق إلى بعضها:

القوانين:

(١) قانون الشدة:

حيث يقرر هذا القانون أن معدل التعلم يعتمد على قوة الاستجابة للموقف المثير فكلما كان للموقف أثر في النفس متعلق بأمور يعيشها الفرد لها مساس بحياته العملية كان ذلك أدعى إلى ثبوت المسألة أو المادة في نفسه.

(٢) قانون التنظيم:

و يقرر أنَّ التعلم يكون أكثر سرعة عندما تكون المادة منتظمة في علاقات ذات معنى.

(٣) قانون التقارب:

وهو يعني «التقارب» وخاصة التقارب الزمني و يقرر هذا القانون... أنه لكي يحدث الارتباط فإن الأحداث يجب أن تقع في حدود فترة زمنية معينة، ففي اختراق متاهة أو أي أفعال متسلسلة كتذكر قصيدة، فإن كل جزء يصبح متصلا بالجزء الذي سبق أداؤه أي التجاور معه زمنياً.

(٤) قانون التدريب:

وهو يقرر أنه إذا كان أداء فعل ما، ممكناً هذه المرة، فإن أداءه يكون أسهل في المرات التالية (٤٥) وعلى هذا يعمد الإنسان إلى أن يتدارس الأمور التي يتعلمها ويحبها

دائماً بالمراجعة والمناقشة حتى تكون بالنسبة له من الأمور المسلم بها..

سادساً: استغلال وقت الشباب:

إن من أهم الأمور التي تساعد الإنسان على التعلم أن يستغل كل لحظة في حياته ومن أهم الأوقات أوقات الشباب. وألا يغتر بخدع التسويف والتأجيل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لابدل لها ولا عوض عنها، ويقطع مايقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب. وبذل الاجتهاد وقوة الجهد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق وقد قيل في استغلال وقت الشباب:

وأيام الحداثة فاغتنمها ... ألا إن الحداثة لاتدوم (٤٦)

وقال الحسن البصري رحمه الله: (طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر)... وأي زمان هذا وأي رياح هذه التي تمحو مانقش على الحجر.. فهيا نسمع وصية الحسن بن علي لبني أخيه: (تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب). ولذلك أنشد سابق البربري رحمه الله هذه الأبيات ليدنعنا لاقتناص فرص الشباب في تربية أنفسنا ولغيرنا في تعليمهم وتوجيههم.. فقال:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع عند الكبرة الأدب
إن الغُصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن يلين إذا قومته الخشب

وقد سبق إلى هذا المعنى أمية بن أبي الصلت حين قال:

إن الغلام مطيع من يؤدبه ... ولايُطيع كهل حين يكتهل (٤٧)

واستغلال وقت الحداثة يعني استغلال أوقاتٍ ليس فيها مشاغل فعندما يكبر الإنسان وعندما يسود: يشغله من يسودهم عن تعليم نفسه وتفقيهها، وتستنكف النفس أن تأخذ بعد أن سُلّمت إليها القيادة. لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تفقهوا قبل أن تسودوا).. ثم أتى بعد ذلك الإمام الشافعي رحمه الله ليقتبس من هذه الكلمة نوراً فقال: (تفقه قبل أن ترأس فإذا رئست فلا سبيل إلى التفقه)(٤٨)..

وهذا لايعني أن يطلب الإنسان العلم في أوقات شبابه ثم يتركه بعد ذلك عند الاشتغال بالوظيفة والزوجة وغيرها من متطلبات الحياة.. بل عليه أن يداوم على ذلك ويستمر كما قال سعيد بن جبير رحمه الله: (لايزال الرجل عالماً ماتعلم، فإذا ترك التعلم وظنَّ أنه قد استغنى فأسوأ جهل مايكون) أي أجهل مايكون هو في تلك الحالة التي ظن أنه في مرحلة ليست بحاجة إلى علم وأنه قد استغنى عن طلب العلم!!

سابعاً: المناظرة:

وهي نوع من أنواع البحث العلمي وقد عرفها العرب في أسواقهم الأدبية قبل الإسلام وبعده (٤٩) وعن طريق المناظرة يمكن أن يثبت العلم ويُبلغ. ولذلك بَيَّنَ الله عزوجل هذه القضية وذكر فيها آيات فقال سبحانه: **(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء، إنَّ ربك حكيم عليم»** الأنعام ٨٣

آداب المناظرة:

والمناظرة لها آداب يجب أن يتحلى بها من يريد أن يتعلم:

* عدم المراء والأخذ به:

والمراد بالمراء الجدال فيما لا طائل منه، فإنَّ الجدال الذي لايراد منه الوصول إلى حق ولايكون على سبيل البحث عن شيء غير واضح، وإنما يقصد منه مجرَّد الجدل، أو يقصد منه تعجيز الآخرين وإفحامهم من غير سبب شرعي، أو يقصد به التشهير والإزعاج لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس. فهذا منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من: الكبر والعجب والحسد... وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنى والقذف والقتل والسرقة. وقصة من خُيِّر بين الشرب والفواحش معروفة (٥٠)!! وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنةِ لمن تركَ المراء وإن كانَ مُحقاً وببيت في وسطِ الجنةِ لمن تركَ الكذب وإنْ كانَ مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمنْ

حَسنُ خُلُقهُ» (أ)

وفهم مسلم بن يسار من رسول الله صلى الله عليه وسلم مافهم فقال: (إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلّته). والمؤمن كما قال الحسن رضي الله عنه: (لايداري ولايماري ينشر حكمة الله فإن قبلت حمدالله، وإن ردّت حمد الله). وبهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ماضلّ قومٌ بعدَ هُدىً كانوا عليهِ إلاّ أوتوا الجدلَ)(ب) وفهم ذلك أصحاب مدرسة النبوة فقال أحدهم وهو مالك بن أنس: (المراء يقسي القلوب و يورث الضغائن)(٥١). وكل هذا التحذير لكون المراء يوقع في المحرمات و يقطع الصلات كما قال محمد بن الحسن رحمه الله: (عند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان و يورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس)(٥٢). وهذا المراء لايكون عندما نفهم أنَّ المقصود من الاجتماع ظهور الحق، وصفاء القلوب، وطلب الفائدة، وأنه لايليق بأهل العلم تعاطي المنافسة، والشحناء، لأنها سبب العداوة والبغضاء، بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصوده خالصاً لله تعالى لتتم الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة. ولنتذكر قوله تعالى: **(ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)** الانفال: ٨

فإن ذلك يفهم منه أنَّ إرادة إبطال الحق أو تحقيق الباطل صفة إجرام فليُحذر منه.(٥٣) وقد بيّن الشافعي رحمه الله مايجب أن يكون بين العلماء فقال: (العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل)(٥٤)

سبيل التخلص من المراء المذموم:

وحتى يكون اجتماعك خالياً من المراء عليك باختيار الأصحاب وللأصحاب مقامات ثلاثة: (إما رجل يتعلم منه خيراً إن كان أعلم منه، أو رجل هو مثله في العلم فيذاكره العلم لئلا ينسى ماينبغي ألاَّ ينساه، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه، يريد الله عزوجل بتعليمه إياه)(٥٥)... وبعد هذا الاختيار سيكون مجلسك كمجلس زيد بن أسلم الذي بيّنه أبو حازم الأعرج حين قال عن مجلسهم: (رأيتنا في مجلس زيد بن

(أ) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) عن ابي أمامة وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١٤٧٧).
(ب) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٨) وأحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٦) عن ابي أمامة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٥٥٠٩).

أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا ومارأيت فيه ــ يعني المجلس ــ متمارين ولامتنازعين في حديث لاينفعنا)(٥٦). ذلك لأنهم تحلوا بما يتحلى به العالم في مناظرته من خصال وهي: أنه يفرح إذا أصاب الخصم، وأن يحزن إذا أخطأ، ويحفظ نفسه ألا يجهل عليه.(٥٧)

وللسلف رضوان الله عليهم في المجادلة لأهل الباطل صور كثيرة وقصص متنوعة نسرد منها قصة الفاروق في نقاشه فقد كان لعمر أرض بأعلى المدينة، فكان يأيتها وكان طريقه على موضع مدارسة اليهود، وكان كلّما مرّ دخل عليهم فسمع منهم وأنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: (ياعمر مامن أصحاب محمد أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا فتمر بنا فلا تؤذينا وإنا لنطمع فيك. فقال لهم عمر: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن. قال: فبالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً عندكم نبياً؟ فسكتوا؛ قال: «تكلموا ماشأنكم، والله ماسألتكم وأنا أشك في شيء من ديني» فنظر بعضهم لبعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل أو لأخبرنه. قالوا: نعم إنا نجده مكتوباً عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذى يأتيه بالوحي هو جبريل. وجبريل عدونا، وهو صاحب كل عذاب وقتال وخسف، ولو أنه كان وليّه ميكائيل لآمنّا.. فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث، قال لهم: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أين ميكائيل وأين جبريل من الله ؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، قال عمر: فأشهد أنَّ الذي هو عدو للذي عن يمينه هو عدو للذي عن يساره، والذي هو عدو للذي عن يساره هو عدو للذي عن يمينه، وأنه من كان عدواً لهما فإنه عدو لله. ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدو للكافرين)(٥٨)(أ)

ومجادلة ابن عباس، وعلي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم للخوارج واضحة وبيّنة في كتب السيرة تدل على قوة الحق التي يتكلم بها تلاميذ منهج الرسول صلى الله عليه وسلم.

والمجادلة والمناظرة فنّ لايتحلى به كل إنسان بل هي فضل من الله. كذلك قال

(أ) أخرجه ابن ماجه جرير الطبري في جامع البيان ٤٣٣/١، ٤٣٤، ٤٣٥).

بعض العلماء: (كل مجادل عالم، وليس كل عالم مجادلاً) يعني أنه ليس كل عالم تتأتى له الحجة، ويحضره الجواب و يسرع إليه الفهم بمقطع الحجة ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء، وأنفعهم مجالسة ومذاكرة والله يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم (٥٩).

والمجادلة هنا ليست المناظرة المذمومة وإنما هى من باب قوله تعالى (وجادلهم بالتي هى أحسن). والمذاكرة والمناظرة في الحق محمودة وقد كان السلف رضوان الله عليهم يعيشون الساعات في المناظرة ولايشعرون، لذلك قال علي بن الحسن بن شفيق: (قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد فذاكرني عند الباب بحديث فذاكرته فمازال يذاكرني حتى جاء المؤذن وأذّن الفجر)(٦٠) وهذه المناظرة تحتاج إلى ذاكرة.. فالذاكرة قدرة مدهشة تعتمد عليها في جميع الأنواع من الأعمال خاصة في الأعمال العقلية... وتتكون الذاكرة من تذكر ماقد سبق تعلمه، وقد تكون الاحتفاظ والتذكر لما سبق تعلمه... ويحدث التذكر في صور متعددة:

صور التذكر:

* الصورة الأولى: وهي أبسط الصور وهي تذكر الشيء عندما يكون ماثلاً أمام الحواس.

* الصورة الثانية: هي الاسترجاع... فيقال إننا استرجعنا الشيء عندما نصبح واعين لمروره بخبرتنا الماضية دون أن يكون ماثلاً أمام الحواس... مثال ذلك استرجاع اسم كتاب قد انتهيت من قراءته في الأسبوع الماضي.

* الصورة الثالثة: وهي أكثر صعوبة وهي التذكر بدقة لاعادة إنتاج المادة التي سبق تعلمها.

* الصورة الأخيرة: وهي أصعب الأنواع فهي أداء العادات التي تعلمها الفرد جيداً لدرجة أنها صارت آلية لحد كبير (٦١).

أسباب النسيان:

١ ــ المعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الأشغال.

٢ ــ الإكثار من العادات المحذورة في تلقي العلم مثل قص الكم والتحسير عن الذراعين والعبث باليدين أو الرجلين أو غيرهما من الأعضاء إلى غير ذلك من الأمور التي تلهي الإنسان عن طلب العلم.

كما أنَّ هناك نظريات تزيد هذه المسألة وضوحاً سنذكر بعضها:
١ ــ نظرية مرور الزمن وعدم التدريب: حيث تقول.. بأنَّ الحكم الواضح من ظواهر الأمور أننا ننسى بسبب مرور الزمن، ومع ذلك فمن الوجهة النظرية فإنه ليس مرور الزمن في حد ذاته هو السبب للنسيان وإنما ما يحدث في خلال هذا الزمن. وهذا التفسير من عيوبه حقيقة أن بعض المواد تنسىٰ أسرع من غيرها.

٢ ــ نظرية التداخل: إن نظرية التداخل هي أكثر النظريات شيوعاً لتفسير النسيان وتبعاً لهذه النظرية، فإننا ننسى لأن الأشياء الأخرى التى تعلمناها تتداخل مع ما نحاول تذكره لدرجة أنه حتى في حالة الحفظ الجيد لا تكون هناك ضمانة مطلقة للتذكر.

٣ ــ عدم التعلم: وهذا سبب آخر للنسيان وهو أننا لم نتعلم ما نريد أن نتذكره أو أننا تعلمناه بدرجة غير كافية على الإطلاق.. فإذا قلنا إننا لا نستطيع أن نتذكر الأسماء فإنه من المحتمل أننا لم نتعلمها إطلاقاً حيث إننا لا نستطيع أن نتذكر ما لم نتعلمه، كما أن التعلم الأصلي غير الدقيق من المحتمل أن تكون نتيجته استرجاعاً غير دقيق(٦٢).

٤ ــ الحرص على الفهم: وهو أمر مهم لذلك قيل: حفظ حرفين خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين.. والإنسان إذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير، فينبغي على المتعلم ألا يتهاون في الفهم بل يجتهد و يدعو الله تعالى فإنه يجيب دعاءه.
٥ ــ عدم التسرع: فينبغي أن يكون طالب العلم متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلوم و يعتاد ذلك فإنما تدرك الدقائق بالتأمل.. ولهذا قيل: تأمل تدرك. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله، لأحد تلاميذه: (أصلحك الله لا تكونن منك العجلة وتثبّت في الفتيا فإن أنكرت شيئاً مما أذكره لك فسلْ عن تفسيره إن كنت مناصحاً فرب كلمة يسمعها الإنسان فيكرهها فإذا أخذ بتفسيرها رضي بها ولا تكونن كالذي يسمع الكلمة فيكرهها ثم يغتنمها إرادة الشين، فيذيعها في الناس، ولا يقول عسى أن يكون

هذه الكلمة تفسير ووجه عدل لا أعلمه، أفلا أسأل صاحبي عن تفسيرها؟ أو لعلها كلمة جرت على لسانه ولم يتعمدها فينبغي لي أن أتثبت ولا أفضح صاحبي ولا أشينهُ حتى أعلم وجه كلامه)(٦٣). كلام منهجي نطق به إمام من أئمة المسلمين، أجدر بالمسلمين أن يتمسكوا به في حياتهم وتعاملهم حتى تدب الأخوة وتعم الصحبة وتبتعد الفرقة.

ثامناً: الثقة بالنفس:

وهي أمر مهم لطالب العلم فبدونها تقْصُر الهمم، وتتقاعد وتتكاسل العزائم،وذلك آت من جهل حقيقة وهي: أنَّ العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو بطبيعته يتجزأ و يتبعض، فَمنْ عَلم مسألةً وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية(٦٤). وذلك بيّن لمن درس حال الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهم من حمل عنه حديثاً واحداً ومنهم من حفظ عنه القرآن كله وحظّاً كبيراً من السنة ولكن مع هذا لا بد من السعي من أجل الكمال والتكميل(٦٥). إلا أنه لا بد من تحصيل مبادىء العلوم التي لا يتم للمرء علم إلا بها.

شروط العلم وغاياته:

إن غاية طلب العلم في الإسلام مسألة لا يختلف فيها اثنان.. ولكن نظراً لأهميتها سنبينها بشيء من التفصيل بعيداً عن التطويل إن شاء الله. و يسبقنا في ذلك أبويوسف رحمه الله ليبين هذه الغاية بقوله: (يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلو إلا لم أقم حتى أفتضح). والعلم من العبادات وقربة من القرب.. ولا بد من حسن النية في طلب العلم وذلك بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل له وإحياء الشريعة وتنوير القلوب(٦٦). وقد أتى في ذلك تحذيرات كثيرة، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، حين قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيامَة عليهِ، رَجُلٌ اسْتُشهدَ فأُتِيَ بِهِ فَعرفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قالَ فما عملتَ فِيهَا؟ قالَ: قاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قالَ: كَذَبْتَ ولكِنَّكَ قاتَلْتَ لأنْ يُقَالَ جَريء فقَدْ قيلَ. ثمَّ أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النَّارِ، ورجُلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ فأُتِيَ بِهِ فعرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيهَا؟ قالَ: تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمتُهُ وقرأتُ فِيكَ القُرآنَ. قالَ: كَذَبْتَ

ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ ليُقالَ عالِمٌ. وقَرَأْتَ القُرآنَ ليُقالَ هوَ قارىءٌ. فقَدْ قيلَ. ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتَّى أُلقيَ في النَّارِ. ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْهِ وأعطَاهُ مِنْ أصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ. فَأُتيَ بهِ فعرَّفَهُ نعَمَهُ فَعَرفَها. قالَ: فما عملْتَ فيها؟ قالَ: ما تَركْتُ مِنْ سبيلٍ تُحبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلاَّ أنْفَقْتُ فيها لَكَ. قالَ: كَذَبْتَ. ولكنَّكَ فَعَلْتَ ليُقالَ هو جَوَادٌ. فَقَدْ قيلَ. ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ. ثمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ»)(أ). لذلك كان على طالب العلم أن يعلم أنَّ الله عز وجل، فرض عليه عبادته والعبادة لا تكون إلا بالعلم. ويعلم أن العلم فريضة عليه ويعلم أن المؤمن لا يَحْسنُ به الجهل فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل وليعبد الله عز وجل كما أمره وليس كما تهوى نفسه.. معتقداً الإخلاص في سعيه لا يرى لنفسه الفضل في سعيه، بل يرى لله عز وجل الفضل عليه إذ وفّقه لطلب علم ما يعبده به من أداء فرائضه واجتناب محارمه. هذا كله حتى يتجنب النار.. وذلك لرواية أبي الزبير عن جابر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعلّموا العلمَ لتباهوا به العلماءَ أو تماروا بهِ السفهاءَ ولا لتجترئوا بهِ المجالسَ فمن فعل ذلك فالنارُ النارُ)(٦٨)(ب).

والعلم الحقيقي هو العلم الذي يورث الخشية والمخافة من الله ولذلك قال مسروق فيما يروي عنه الأعمش عبدالله بن مرة: بحسب امرىءٍ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرىءٍ من الجهل أن يعجب بعلمه. لذا روى عون بن عبدالله قال: قال عبدالله بن مسعود: (منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضاً بالله، وأمَّا صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان. قال: (أي عون بن عبدالله): ثم قرأ عبدالله: (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ).

ثم قرأ للآخرة: **(كلا إنَّ الإنسان ليطغىٰ أن رآه استغنىٰ)(٦٩)**. ولهذا قال تعالى: **(إنما يخشىٰ الله من من عبادِه العلماءُ)**. فهذا الكتاب الكوني الجميل الصفات العجيب التكوين والتلوين يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء). وهذه الصفحات التي قلبها في هذا الكتاب هي بعض صفحاته والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب ومن ثم يعرفون الله تعالى معرفة حقيقية: يعرفونه

(أ) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(ب) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤) وابن حبان (موارد الظمآن ٩٠) والحاكم عن جابربن عبدالله، قال في الزوائد رجال اسناده ثقات. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٧٢٤٧).

بـآثـار صـفـاتـه، و يـدركون آثار قدرته و يستشعرون حقيقة عظمته برؤ ية حقيقة إبداعه ومـن ثم يخشونه حقاً و يتقونه حقاً و يعبدونه حقاً لا بالشعُور الغامض الذي يحدده القلب أمـام روعـة الكون ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر(٧٠). «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بـآياتنا إلا الظالمون».

فهو (أي الإيمان) دلائل واضحة في صدور الذين وهبهم الله العلم لا لبس فيها ولا غـمـوض ولا شبهـة فيها ولا ارتياب، دلائل يجدونها بينة في صدورهم تطمئن إليها قلوبهم فلا تطلب عليها دليلاً(٧١).

لـذلك كان حرص السلف عظيماً على تربية أبنائهم على تحري الغاية والهدف من تعلم العلم، فكان أحدهم يوصي ابنه فيقول: (يا بني لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تدعه لـثـلاث.. لا تـتعلمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به.. ولا تدعه زهادة فيه، ولا حـيـاء من الـناس،ولا رضاً بالجهالة)(٧٢). بهذه الوصايا كان الأب يربي ابنه.. لذلك كان يخرج فاهماً واعياً لهذا المبدأ فينشد فيقول:

مـن طـلـب الـعـلـم للـمـعـاد	فـاز بـفـضـل مـن الـرشـاد
فـيـا لخـسـران طـالـبـيـه	لـنـيـل فـضـل مـن الـعـبـاد(٧٣)

لـذلـك كـان الـعـلـم الذي يمدح والعالم الذي يزكى وجميع ما ذكر في فضيلة العلم والـعـلماء، إنمـا هـو فـي حـق الـعـلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الـكـريم والـزلـفـى لـديـه فـي جـنـات النعيم.. لا من طلب بسوء نية أو خبث طوية أو لأغـراض دنـيـو يـة: من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب.. وقد قال صلى الله عـلـيه وسلم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة»(أ).

لـذلـك قـال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إعلم أنَّ العمل تبعٌ للعلم كما أنَّ الأعضاء تـبعٌ للبصر، والعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير، ومثل ذلك الزاد القليل الذي لا بد منه في المفازة مع الهداية بها أنفع من الجهالة مع الزاد الكثير ولذلك

(أ) أخـرجـه أحمد (٣٣٨/٢) وأبـو داود وابـن مـاجه (٢٥٢) وابن حبان (موارد الظمآن ٨٩) وغيرهم عن ابي هريرة وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦٠٣٥).

قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟! إنما يتذكر أولو الألباب)(٧٤).

وقال: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين). حيث إن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة.

ومع الاستسلام لله تعالى الذي تتوارى معه الذات فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.

وهذا أمر جلل أن ننتبه إليه كما انتبه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشعُ،ودعاءٍ لا يُسمعُ،ومن نفس لا تشبعُ،ومن علمٍ لا ينفعُ،أعوذ بك من هؤلاء الأربع».(أ).... وانطلاقاً من هذا الحديث تكلم مكحول فقال: (اللهم انفعنا بالعلم، وزيّنا بالحلم وجمّلنا بالعافية)... نعم فليس شيء أنفع من علم ينفع، وليس شيء أضرّ من علم لا ينفع كما قال سفيان بن عينية رحمه الله... وهذا الحرص من السلف رضوان الله عليهم على اصطحاب العمل للعلم لم يكن إلا نتيجة لخشيتهم الله تبارك وتعالى، وموقفهم بين يديه، لعلمهم بالحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن عُمْرِهِ فيمَ أفناهُ،وعن علمِهِ فيمَ فَعَلَ،وعن مالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ وفيمَ أنفَقَهُ،وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ»(ب).

نعم لن يكون هناك تحرك إلا بعد هذا السؤال الذي قلما التفتنا إليه فياللموقف ويا للسؤال!! وكان الصحابة على علم يقين بهذا الموقف، لذلك نطق أحدهم، وهوعبدالله بن مسعود بكلمات يتم بعدها وضوح الأمر فقال: والله مامنكم من أحدٍ إلا وإن ربّه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول: «يا ابن آدم ماغرك بي؟ ثلاث مرات ماذا أجبت المرسلين كيف عملت فيما علمت»؟(٧٦)... وبعد مرور الأيام

(أ) أخرجه الترمذي (٣٤٨٢) والنسائي (٢٥٥/٨) عن ابن عمرو وابو داود (١٥٤٨) وابن ماجه (٣٨٣٧) والنسائي (٢٦٣/٨) والحاكم عن أبي هريرة والنسائي (٢٦٣/٨، ٢٦٤) عن أنس وقال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبدالله بن عمرو وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١٣٠٨).

(ب) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي وقال هذا الحديث حسن صحيح ووافقه عبدالقادر الارناؤوط (جامع الأصول ٤٣٦/١٠) وصححه ألالباني (صحيح الجامع الصغير ٧١٧٧).

والسنين أتى الامام الشاطبي رحمه الله ليذكر بهذا الأمر فقال في المقدمة الثامنة: «العلم الذي هو العلم المتعبد به شرعاً، أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الاطلاق هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يُخلّي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً»(٧٧).

وهذا محمد بن أبي علي الأصبهاني يبين لنا ضرورة العمل بالعلم فيقول:

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل ... لا ينفع العلم إن لم يَحْسُن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شغل
وحجة الله ياذا العلم بالغة ... لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به ... لا يلهينّك عنه اللهو والجدل

وعلى هذا فالعلم لا بد له من العمل وإلا فلا جدوى ولا فائدة من هذا العلم، و به قال سفيان الثوري رحمه الله: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه والا ارتحل» وهذا أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: «لا تكون تقياً حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً».

ومن لم يعمل بعلمه فارثه لأن الدنيا قد لعبت به وارحمه كما رحمه الفضيل بن عياض من قبل حين قال: «إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا». لأنه مات قلبُه حين طلب الدنيا بعمل الآخرة، وذلك هو ما عناه الحسن حين قال: «عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وفي ذلك وفي عقوبة ذلك العالم روى أسامة بن زيد رواية تقشعر منها الجلود حين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُؤتى بالرجلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النار فَتَنْدَلِقُ أقتابُ بطنِهِ فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ بالرّحى فيجتمعُ اليهِ أهلُ النارِ فيقولونَ: يا فلان مالك ألم تكن تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ؟ فيقولُ: بلى قد كنتُ آمرُ بالمعروفِ ولا آتيه وأنهى عن المنكرِ وآتيهِ»(أ) وما كان لهذا الرجلِ وأمثاله إلا أنهم علت هممهم في أول الأمر فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب، وغير ذلك، فأتاهم أبليس بخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظمة، لما نالوا وأفادوا غيرهم، فقال لهم: إلى متى هذا التعب فأريحوا جوارحكم من كلف التكليف وافسحوا لأنفسكم في مشتهاها فإن وقعتم في زلة فالعلم يدفع عنكم العقوبة ثم يورد

(أ) أخرجه مسلم (مختصر صحيح مسلم ١٢٣٨)

عليهم فضل العلماء(٧٩). وهؤلاء هم علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم و يدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلمّوا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان مادعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أولياء وفي الحقيقة قطاع طرق(٨٠). وهؤلاء مثلهم كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثلهم كذلك مثل القبور ظاهرها عامر و باطنها عظام الموتى(٨١).

وقيل أنه كان رجل ذا مال لم يسمع بعالم إلا أتاه حتى يقتبس منه فسمع أنَّ في موضع كذا وكذا عالماً، فركب السفينة وفيها امرأة فقالت: ما أمرك يا هذا؟ قال: إني مشغوف بحب العلم، فسمعت أن في موضع كذا عالماً آتيه، قالت: يا هذا كلما زيد في علمك يزيد في عملك أو تزيد في علمك والعمل موقوف؟! فانتبه الرجل ورجع وأخذ في العمل(٨٢).

الله أكبر. أين مدرس اليوم وموجه الأجيال من هذه المحاذير والأقوال؟ (إنَّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)!!. وعلى هذا فما أحوجنا نحن اليوم إلى همة في تنفيذ العلم كهمة أبي ذر رضي الله عنه حتى تستقيم الأمور حين قال: «لو وضعتم الصمصامة ــ السيف الصارم ــ على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجهزوا عليّ لأنفذتها»(٨٣). نعم فهذا طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح اسماعيل، و بيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب وزاد على المقدار بكاء داود وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم تسليماً كثيراً...(٨٤)

خطر من بابين :ــ

إن العالم الذي لا يعمل بعلمه، والعابد الذي يعبد الله على غير علم من الله، من أكبر المفاسد التي تقع فيها الأمة. وما ضياع الأخلاق وانتشار البدع إلا مِن وجود هذين الصنفين. لذلك كان سفيان الثوري رحمه الله يستعيذ منها و يقول: «نعوذ بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتها فتنة لكل مفتون»(٨٥)... وفي ذلك أنشد أحدهم فقال:

فســادٌ كــبيرٌ عــالم متهــتــك وأكبر مــنــه جــاهــل مــتــنــســك
هــا فــتــنــة فــي الــعــالمين عــظــيــمــة لمــن بهما فــي ديــنــه يــتــمــســك

نـعـم وأي ضلالة أكبر من أن يتبع الانسان في دينه عالماً متهتكاً يبيع دينه بدراهم معدودة... فكم من فتوى في إحلال حرام خرجت منه؟! وكم كلمة تحرم يطلقها على أمور أحلها الله مقابل هوى في نفسه أو دينار مدفوع له؟!.. وليس ذلك أهون من أن يتبع الانسان في زهده وتعبده لله، جاهلاً بأمور الاسلام، متعبداً لله في ظنه وهو أشد المنحرفين... وعن هذا الوضع أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري: عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الناسِ، ولكنْ يَقْبِضُ العِلمَ بقَبْضِ العلماءِ حتّى اذا لَمْ يُبْقِ عالماً اتّخذَ الناسُ رؤساء جُهّالاً فَسُئلوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فضَلُّوا وأَضَلُّوا» .(أ).

الأدب مع العلم :ـ

للأدب مكانة في الاسلام لا تخفى على أحد ممن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّما بُعثْتُ لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ»(ب) وامتداح الله تبارك وتعالى لإمام الهدى في قوله سبحانه: **(وإنك لعلى خلقٍ عظيم)...** لذلك قال ابن سيرين مبيناً حال السلف الصالح رضوان الله عليهم: «كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم». والهدى هي السيرة والهيئة والطريقة وهذا لا يستبعد عن أناس كان يقول عنهم الحسن البصري: إنه كان الرجل ليخرج في أدبٍ واحدٍ السنتين والسنين.... وعلى هذا كانت وصية حبيب بن الشهيد وهو من الفقهاء لابنه: «يا بُنيّ اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فانه أحب إليَّ من كثير من الحديث»... وهذا ليس كلام الفقهاء وحدهم، إنما كلام أهل الحديث فاسمع مخلد بن الحسن وهو ثقة روى عنه ابن المبارك وهو يقول لابن المبارك: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من حديث»... نعم إلى كثير من الأدب أحوج. وخصوصاً في هذه الأيام التي اشتياقنا فيها إلى الأدب لا يقل عن شوق الشافعي رضي الله عنه، حين قيل له: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه، فتودّ أعضائي أنَّ لها

(أ) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١٧١٢)

(ب) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وأحمد (٣١٨/٢) والحاكم (٦١٣/٢) وابن سعد في الطبقات (١٩٢/١) وصححه الألباني (الاحاديث الصحيحة ٤٥).

أسماعاً فتنعم به... وقيل له وكيف طلبك له؟. قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره... لهذا الأمر العظيم الخاص بالأدب كان العلماء حريصين على التحلي بالأدب وتعليم من بعدهم من العلماء.... وذلك ما فعله معلم العلماء رسول الهدى صلى الله عليه وسلم حين قال فيما يرويه البخاري عن ابن عباس في الأدب المفرد: «عَلموا وَيَسروا ولا تعسروا» (أ) . والتيسير وعدم التعسير لا يكون إلا عندما يختلط الأدب مع العلم..

الحلم من الأدب:

وأي أدب أفضل من الحلم... فعن عطاء بن يسار قال: «ما أوىٰ شيء الى شيء أزين من حلم إلى علم». ووضح هذا القول إبراهيم بن أدهم حين قال: «ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم، اذا تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. يقول الشيطان: انظروا إليه: كلامه أشد عليّ من سكوته»(٨٦).

فالعلم والحلم خلقا كرم   للمرء زين اذا هما اجتمعا.

فكم من وضيع سما به العلم والحلم، فنال السمو وارتفع حيث يكثر جلساؤه وتكثر الأيدي المرتفعة الى الله تدعوه أن يغفر له ويبارك في علمه وأدبه... نعم هذا الصنف أمر الأنبياء والصالحون بمجالستهم، قال عيسى عليه السلام: «جالسوا من تذكركم بالله رؤيته،ومن يزيد في علمكم منطقه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله».

آداب متفرقة :ــ

وهي مابينه أبو حامد الغزالي رحمه الله في صفات العلم، يقول في كتاب (الأدب في الدين) ما مثاله :ــ

(يقصد الصدق ويتجنب الكذب، ويحدث بالمشهور ويروي عن الثقات، ويترك المناكير ولا يذكر ماجرى بين السلف، ويعرف الزمان، ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللحن والتحريف ويدع المداعبة، ويقل المشاغبة، ويشكر النعمة إذ جُعل في درجة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويلزم التواضع ويكون معظم ما يحدث به نفسه ما ينتفع المسلمون به من فرائضهم وسنتهم وآدابهم وفي معاني كتاب ربهم عز وجل»(٨٣)... الله أكبر كل هذا في راوي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بمن يحمل

(أ) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢٠) وأحمد (٣٦٥/١) وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٣٩١٥).

دعوة الرسول صلى عليه وسلم و يبلغها للناس لينقلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد!!

هذا هو الأدب في عمومه الذي يجب أن يتحلى به المسلم عالماً كان أم متعلماً وفي السطور القادمة سنبيّن إن شاء الله تفصيل آداب العالم والمتعلم من نواحيه المختلفة وسنبدأ بعون الله تعالى بآداب العالم...

آداب العالم:

أولاً: آدابه مع نفسه:ـ

(أ) مراقبة الله تعالى:

وخير أدب يجب أن يتحلى به دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين على ما أودع من العلوم وما منح من الحواس... وذلك مفهوم قوله تعالى: (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون).

(ب) مراقبة النفس:

عليه أن يحترس من نفسه و يقف على ما أشكل عليه... وذلك بأن يحافظ على القيام بشعائر الاسلام وظواهر الأحكام... كإقامة الصلاة في المساجد جماعة وإفشاء السلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في سبيل ذلك، صادعاً بالحق عند السلاطين باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومة لائم، ذاكراً قوله تعالى: **(واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك من عزم الأمور).** محافظاً على المندوبات الشرعية: القولية والفعلية، فيلازم تلاوة القرآن، و يذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ماورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار ومن نوافل العبادات من صلاة وصيام وحج البيت الحرام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم..

الانتفاع بالوقت:

كما أنه لا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ماهو بصدده من العلم والعمل... إلا بقدر الضرورة من أكل أو شرب أو نوم أو استراحة من الملل أو أداء حق زوجة أو زائر أو تحصيل قوت وغيره مما يحتاج إليه، أو لألم أو غيره مما يتعذر معه الاشتغال

بالعلم... وكان بعض السلف لا يترك الاشتغال بالعلم لعروض مرض خفيف أو ألم يطيقه بل كان يستشفي بالعلم و يشتغل بقدر الإمكان وفي ذلك ينشد أحدهم:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر إخلالاً فننتكس

د ــ الإنصاف :ــ

وهو من أجمل ما يتحلى به العالم مع نفسه حيث إنه أقل ما ينبغي أن يوجد في العالم كما قال الإمام مالك بن أنس «مافي زماننا شيء أقل من الإنصاف». ومن نهج السلف في الانصاف في العلم مارواه محمد بن كعب القرظي، قال: «سأل رجل علياً عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا. فقال علي رضي الله عنه أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم». وما قاله عبدالرحمن بن مهدي «ذاكرت عبدالله بن الحسين القاضي بحديث وهو يومئذٍ قاضٍ فخالفني فيه فدخلت عليه وعنده الناس سماطان فقال لي: ذلك الحديث كما قلتَ أنت وأرجع أنا هنا».

هـ ــ علاقته بالدنيا :

وعليه ألا يطلب الدنيا بعلمه،والدنيا والعلم كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما نصب منه في الآخرة حتى يمتلىء، يفرغ الآخر لذلك قال يحيى بن معاذ: «إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بها الدنيا». وكتب رجل الى أخ له: «إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقىٰ في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم، وعلماء الدنيا يخاطبهم يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله فيقول: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية و بيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية وآنيتكم فرعونية ومآتمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية»... أعاذنا الله من ذلك ثم انظر ما أجمل رد الحسن حين حمل إليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز: «يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة» فقال الحسن: عافاك الله تعالى هم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له»(٨٨).

وهذا لا يمنع من كان موثوقاً به من العلماء أن يقبل ما أهدي إليه و ينفقه في

مصالح المسلمين، فقد قبل الصحابة مثل ذلك وأنفقوه وإنما كان الحسن يقصد الانتفاع به لشخصه واتخاذ هذا الأمر طريقاً للثراء.

وعلى العالم كذلك أن يترفع عن أبواب الملوك إلا ناصحاً آخذاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه يُستعملُ عليكم أُمراءُ فتعرفونَ وتُنكرون فمن كَرِهِ فقد بَرىء ومَن أنكرَ فقد سَلِمَ ولكنْ من رضِيَ وتابعَ» قالوا: يا رسولَ اللهِ ألا نقاتِلُهمَ؟ قال «لا ماصلّوا» (٨٩)(أ).

ومن زهد بالعلم لأجل الدنيا فليسمع عيسى عليه السلام يقول: «يا معشر القراء والعلماء كيف تضلون بعد علمكم أو تعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنية، وشهوة ردية، فلكم الويل منها، ولها الويل منكم».

و ـ عناية العالم بمظهره الخارجي:

والعالم في مظهره يحبذ له اذا عزم على مجلس التدريس التطهر من الحدث والخبث والتنظيف والتطيب ولبس أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم، وتبجيل الشريعة وفي ذلك تطبيق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحبُّ الجَمالَ»(ب) فهو يتناول جمال الثياب ويدخل فيه بطريق العموم الجمال في كل شيء. وفي الصحيح «إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّباً»(جـ). ولمحبته سبحانه للجمال، أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير). وقال في أهل الجنة: (ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً). فجمل وجوهم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيبغض القبح وأهله ويحب الجمال وأهله(٩٠).

ثانياً: آدابه مع غيره:

(أ) استشعار ضخامة الأمر:

عليه في بداية تشميره أن يستشعر قولة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه حين

(أ) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(ب) أخرجه مسلم (مختصر صحيح مسلم ٥٤) عن عبدالله بن مسعود.

(جـ) أخرجه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة.

استلم الخلافة من بعد ما أصابها من أمور خارجة عن الطبيعة التي كانت على سمت الخلفاء الراشدين: «إني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير وكبر عليه الصغير وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينا لا يرون الحق غيره»(٩١).

(ب) التمتع بمكارم الأخلاق:

وحتى يؤلف قلوب الناس عليه أن يعاملهم بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى واحتماله فيهم الإيثار وترك الاستئثار، وشكر التفضل وإيجاد الراحة والسعي في قضاء الحاجات وبذل الجاه في الشفاعات والتلطف بالفقراء والتحبب إلى الجيران والأقرباء والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم ويبتعد معهم عن أسباب النزاع والشقاق وأن يبعدهم عن ازدراء الآخرين والعيب عليهم ويعودهم نظافة القلب ونظافة اللسان ويزجرهم عن سوء الاخلاق بطريق التلميح اولاً، فإن لم يفد اتبع معهم أسلوب التصريح ولكن مع العطف والرحمة والمودة إن نفع، وإلا فبالشدة وهو في ذلك تلميذ لعبد الله بن مسعود حين قال لأصحابه: «كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت، سُرُج الليل جدد القلوب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض إلا لمصلحة تقتضيها الدعوة إلى الله»(٩٢).

جـ ـ الحرص على التعليم:

ألا يمتنع العالم عن تعليم أحد منهم علماً أو بحثاً إذا أنس منه الفهم.. وأن يتدرج معه في تفهيمه وأن يذكر له قواعد الفن وضوابطه التي لا تحرجه مطلقاً أو غالباً... مع مستثنياتها إن كانت موجودة... وأن يبدأ بعدئذ بالأمور المتفرعة عن تلك القواعد... فيصور له المسألة ثم يوضحها بالأمثلة والشواهد ليقربها إلى ذهن الطالب وأن يقتصر على قدر يفهمه بنفسه فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يختلط عليه عقله، لذلك قيل: «كِلْ لكل عبد بمعيار عقله وزِنْ له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك،وإلاّ وقع الإنكار، لتفاوت المعيار» لذلك قال أحد العلماء لمن سأله في مسألة ولم يجب فأنكر عليه السائل، فقال العالم معللاً عدم إجابته بقول الله تعالى: **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)** تنبيهاً على أنَّ حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى (٩٣).

ثالثاً: آدابه في درسه:

(أ) ذكر الله تعالى:

على العالم أن يفتتح مجلسه ويختمه بحمد الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مامن قومٍ يقومونَ من مجلسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيه، إلا قاموا على مثل جيفة حمارٍ وكان عليهم حسرة يومَ القيامةِ»(أ).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إلاَّ كانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم، وإِنْ شاءَ غَفَرَ لَهُمْ»(ب).

وفي بعض الأحيان يكون هناك دعاء يليق بالحال بعد قراءة قارىء حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم، فقد روى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرءوا سورة» (٩٤).

(ب) الموازنة في الصوت:

وعلى العالم تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة. حيث ان الأولى ألا يجاوز صوته مجلسه ولا يقصر عن إسماع الحاضرين، إلا إن احتيج إلى ذلك لسبب ما، كما روى عبدالله بن عمرو حين قال: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَّم في سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ وَنَحْنُ نَتَوضَّأُ فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً.(جـ) فانظر كيف احتاج الأمر إلى رفع الصوت فالأمر مستعجل، والجمع كثير منتشرون، فاحتاج المقام إلى

(أ) أخرجه أبو داوود (٤٨٥٥) وأحمد (٣٨٩/٢، ٥١٥، ٥٢٧) والحاكم (٤٩٢/١) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني (الأحاديث الصحيحة ٧٧).

(ب) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) واللفظ له وأبو داوود (٤٨٥٦) وأحمد (٤٣٢/٢، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥) والحاكم (٤٩٦/١) واسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» (٥٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١٣٠/٨) كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٥٤٨٣).

(جـ) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١٣٩).

ذلك، كما أنه اذا حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس أن يعلي صوته بقدر ما يسمعه.

جـ ـ الترتيل والاعادة :

وحتى تتم الفائدة عليه الا يسرد الكلام سرداً بل عليه أن يرتله و يرتبه و يتمهل فيه ليفكر فيه هو وسامعه ... وقد روى أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فصلاً يفهمه من سمعه وأنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه ..» (٩٥).

وتحديث الناس بما عقلوا حتى لا يفتنوا كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» ... ولم لا يكون فتنة اذا كان معلوماً أن الانسان له حدود معينة في الفهم، وهناك فرق في عملية الاستيعاب، فربما أخطأ إنسان فهم الفتوى فأفتى وفق فهمه الخاطىء فضلّ وأضلّ... لذلك أتى تحذير علي رضى الله عنه: «حَدِّثوا الناسَ بما يَعرِفونَ، أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟» (أ).

(د) اختيار الوقت المناسب لتبليغ العلم :

وذلك مارواه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «حدّث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملّ الناس هذا القرآن ولا تأتِ القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، ولكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه» (٩٦).

هـ ـ كراهية الفتوى:

إذا علم أن غيره يكفيه، ولمَ لا وهي أمانة سيُسأل عنها يوم القيامة وسيتناقلها الناس و يسيرون على تبيانها، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرجون من الإجابة عند وجود من يكفيهم . وهذا ماقاله عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو تابعي جليل، اتفقوا على توثيقه وإجلاله، قال: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار إذا سئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه».

وقد روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن

(أ) أخرجه البخاري (فتح الباري ١٢٧).

كل من أفتى الناس في كل مايسألونه عنه لمجنون». وقال سحنون بن سعيد: «أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه» (٩٧) فيالله ما أجسر الناس في وقتنا هذا وهم في عصر من أقل العصور علماً ومع ذلك فهم من أكثر الناس فتياً فترى الغلام ولم يبلغ سن الرشد بعد، يفتي لهذا، ويخطىء هذا ويطعن في دين ذاك نسأل الله العافية. وأن يرجع مراهقو العلم إلى ماكان عليه السلف رضوان الله عليهم من الورع والتثبت وأن يعوا الأدب التالي:

و ــ عدم الاستحياء من الإجابة بـ «لا أدري»:

ذلك لأن (لا أدري) نصف العلم. ومن قال: لا أدري فقد أفتى. وهذا ليس بدعاً من الأمر بل من نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيّ البلدان شر قال: فقال لا أدري فلما أتاه جبريل عليه السلام قال ياجبريل أي البلدان شر قال لا أدري حتى أسأل ربي عزوجل فانطلق جبريل عليه السلام ثم مكث ماشاء الله أن يمكث فقال يامحمد إنك سألتني أيّ البلدان شر فقلت لا أدري واني سألت ربي عزوجل أيّ البلدان شر فقال أسواقُها (أ)

ز ــ عدم التعجل بالإجابة:

فيكون في إجابته متصفاً بصفات العلماء الذين كانوا إذا سئل أحدهم عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه، (٩٨) وبهذا قال أبو حفص النيسابوري: العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يُقال له يوم القيامة: من أين أجبت؟!

ح ــ ترحيب العالم بطلبته:

ينبغي للعالم أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله فعن أبي هارون العبدي قال: «كنا نأتي أبا سعيد فيقول: مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الناس لكم تبعٌ وإن رجالاً

(أ) اخرجه أحمد (٨١/٤) والبزار وأبويعلى، قال الهيثمي: ورجال أحمد وابي يعلى والبزار رجال الصحيح خلال عبدالله ابن محمد بن عقيل بن ابي طالب وهو حسن الحديث وفيه كلام أ. هـ.

يأتونكُم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»(أ)

ومن آثار الترحيب الاستفسار عن أحوال الغائبين فالعالم إذا غاب عنه بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة غياباً زائداً عن العادة سأل عنهم وعن أحوالهم، فأن لم يخبر عنهم بشيء أرسل إليهم أو قصد منازلهم بنفسه وذلك أفضل... وإكرامهم كذلك، كما قال ابن عباس: «أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي لو استطعت ألا يقع عليه الذباب لفعلت» . وفي رواية «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني» .

ــ وأن يشفق عليهم وأن يجزيهم مجرى ابنه فعندما يزجر تلميذه عن خلق سيّىء فعليه أن يعمد إلى أسلوب التعريض متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد المنبر معلماً للزهط الثلاثة الذين أتوا فسألوا عن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم فتقالّوها، فقالوا ماقالوا... فقال لهم بطريق التعريض: «مابال أقوام... الحديث» (ب) ويَتَّبع ذلك ما أمكن. وإن احتاج إلى المواجهة فلا بأس برحمة وبدون صراخ أو توبيخ، بل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: «ياعَبْدَ الله لاَ تكُنْ مِثْلَ فُلانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتركَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (جـ)

كما أن هناك ملاحظة للعالم وهي أن يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة فإن ذلك فيه فوائد وآداب للعالم وطالب العلم... ومن هذه الفوائد عدم مزاحمة الطلبة ومنها: إن كان في نفس أحدهم بقايا سؤال سأله، كما يستحب إذا قام أن يدعو بماورد به الحديث: «سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لاإله إلاَّ أنْتَ أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ»(د)

رابعاً: آدابه في أخذ العلم:

أ ــ لا يمتنع من الأخذ من المفضول :

لذلك قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي رحمه الله: «صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث. وبذلك قال الإمام أحمد ابن حنبل: قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مني فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى نأخذ به». كما أنه صح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين... وأبلغ من

(أ) أخرجه الترمذى (٢٦٥٠، ٢٦٥١) وابن ماجه (٢٤٧، ٢٤٩) وضعفه الالبانى (ضعيف الجامع الصغير ١٧٩٧).

(ب) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ٨٨٥) وأخرجه النسائي (٦/٦٠) عن أنس بن مالك.

(جـ) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ٧١٧) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(د) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣) وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٦٦) والحاكم كلهم عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦٠٦٨).

ذلك كله قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وقوله: «إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا)(٩٩) (أ)

ب ــ وهو بذلك يسمع نصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تعلمه: (تعلموا العلم وتعلموا للعلم والسكينة والوقار والحلم). وبهذا قال الحسن: «الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله». ولذلك قيل: «إذا جمع العلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر والتواضع وحسن الخلق»(٨٠) ما أجمعها من كلمات يتجمل العالم بها في نفسه.

آداب المتعلم:

أولاً في الدرس:

حيث يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه، ويديه عن العبث والتشبيك بها، وعينيه عن تفريق النظر من غير حاجة ويتقي المزاح وكثرة الضحك، فإنه يقلل الهيبة ويسقط الحشمة كما قيل (من مزح استُخف به). ومن أكثر من شيء عُرف به... وأن ينصت للسماع ويلزم الصمت بين يدي محدثه ولايقول إلا أن يؤذن له، لأن ذلك تطفل عليه وإيذاء له، وبعد عن الذوق السليم والأدب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «لايحلُّ لرجل أن يفرقَ بين اثنين إلا بإذنهما»(ب)

لذلك قيل: إذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم: العقل والأدب وحسن الفهم. وعليه ألا يخوض في أي فن من فنون العلم بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالأهم.

ثانياً: مع العلم:

مما قيل: لايطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس، ولكن بضيق العيش وخدمة العلماء. ومن توقير العلم: عدم التعلق بالدنيا لذلك نادى حسن بن صالح طالب العلم: (إنك لاتفقه حتى لاتبالي في يد من كانت الدنيا).. كما أنَّ طالب العلم يجب عليه

(أ) أخرجه البخاري (فتح الباري ٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١) عن أنس بن مالك.

(ب) أخرجه أبو داوود (٤٨٤٤، ٤٨٤٥) وأحمد (٢١٣/٢) واللفظ لهما. والترمذي (٢٧٥٢) كلهم عن عبدالله بن عمرو بن العاص. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٧٥٣٢).

ألاَّ يتعلق بزوجة و يترك العلم وليردد مع الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي ما أنشد:

سلام على من تيمتني بظرفها	ولمعة خديها ولمحة ظرفها
سبتني وأصبتني فتاة مليحة	تحيرت الأوهام في كنه وصفها
فقلت ذريني واعذريني فإنني	شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طِلاب العلم والفضل والتقى	غنى عن غناء الغانيات وعزفها

وليس المراد أن يهمل طالب العلم: الرزق والزوجة والأولاد، بل المراد ألا يشغل وقته بهذه الأمور إلا بمقدار و يصرف جل اهتمامه إلى العلم والفقه.

وعليه ألاَّ يتكلف في كلامه بأن يحاول أن يكون فصيحاً وهو لايحسن ذلك وليس عادة له، كما يطلب منه ألا يبحث عن الأغلوطات ليجعلها مدار حديثه مع غيره فإنَّ ذلك مما نهى عنه الشرع منعاً للمسلم من انتحال صفة ليست له، لذا قال صلى الله عليه وسلم: (وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلساً يوْمَ الْقِيامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، والمُتَشَدِّقونَ والْمتَفَيهْقُونَ». (أ)

- والثرثارون: هم الذين يتكلفون كثرة الكلام.
- والمتشدقون: هم المتطاولون على الناس بكلامهم.
- والمتفيهقون: أصله من الفهق وهو الامتلاء وهم الذين يتكلمون بملء أفواههم و يتوسعون في الكلام وذلك تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً لفضلهم على غيرهم. وقد قال صلى الله عليه وسلم:

(هلكَ المتنطعون) قالها ثلاثاً. (ب) والتنطع: التكلف والمبالغة والزيادة عن الحد. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (نُهينا عن التكلف).

(أ) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٢١٩٧) وأخرجه الخطيب في «التاريخ» (٦٣/٤) عن جابر مرفوعاً. وأحمد (١٩٣/٤، ١٩٤) عن أبي ثعلبة الخشني.

(ب) أخرجه مسلم (٢٦٧٠)

ثالثاً: الآدب مع الشيخ:

وكما كان الشيوخ يقدرون الأكفاء ممن سيحملون عنهم أمانات الله، كان التلاميذ ينظرون إلى شيوخهم، نظرة الصالحين في الأمم الخالية إلى أنبيائهم، لموضع الأمانة من نفوس هؤلاء وهؤلاء،وتاريخ السلف رضوان الله عليهم يشهد بذلك وأكثر من ذلك (١٠١). فعلى التلميذ طالب العلم الصبر على جفاء شيخه وأن يعتني بالمهم ولايضيع وقته في الاستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة (١٠٢). وأن يتخذ وصية علي كرم الله وجهه، حين قال: «من حق العالم عليك: أن تسلم على القوم عامة، وتخصه بالتحية وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيديك، ولا تعمد بعينيك غيره.. وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولا تشبع من طول صحبته كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء)(١٠٣).

كما أنه لاينبغي له أن يكرر سؤال ماتعلمه ولااستفهام مافهمه فبذلك يضيع الزمان وربما يتضجر الشيخ. ومجالسة العلماء لها آداب قد غفل عنها الصغار والكبار مما دعا الحسن بن علي رضي الله عنهما أن يقول لابنه مؤدباً إياه: «يابني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك».

- ومن حسن الأدب مع العلماء عدم المماراة كما قال ميمون بن مهران: «لا تمارِ من هو أعلم منك فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه، ولا تضره شيئاً». حيث بالرفق يستطيع الإنسان أن يأخذ العلم من العلماء. وهذا مابينه ابن جريج حين قال: «لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء، إلا برفق به، ذلك لأن المماراة مخالفة للتوقير.. والتوقير من السنة كما قال طاووس، وإذا ذكر الشيخ شيئاً فلايقل: هكذا قلت. أو خطر لي أو سمعت. أو هكذا قال فلان إلا أن يعلم إيثار الشيخ ذلك.

وقد كان السلف يضعون عقاباً لطيفاً لمن ينحرف في أدبه فيبعدونه، كما قال أحمد ابن عمر بن الضحاك: «لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ولا منحرف. وطالب العلم عليه ألا يتعلل لعدم أخذ العلم من الشيخ بتقصيره وهذا ما قاله الخليل بن أحمد حين أنشد:

«اعمل بعلمي وإن قصرتُ في عمل ينفعك علمي ولايضررك تقصيري»

وطالب العلم لاينال العلم ولاينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره، فإنه كما قيل: ماوصل من وصل إلا بالحرمة، وماسقط إلا بترك الحرمة... فطالب العلم إذا جالس العلماء جالسهم بأدب وتواضع في نفسه وخفض صوته عن صوتهم ويكون أكثر سؤاله عن علم ماتعبده الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علم مايسأل عنه فإذا استفاد منهم علماً أعلمهم: «إني قد أفدت خيراً كثيراً». ثم شكرهم على ذلك. وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه، فرجع عنه واعتذر إليهم ولا يضجرهم بالسؤال، رفيق في جميع أموره لا يناظرهم مناظرة من يريهم أنه أعلم منهم.

وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم مع حسن التلطف لهم. ولايحاول حتى يتعلم مايزداد به عند الله فهماً في دينه (١٠٤).

وللعلماء والمعلمين منزلة من أرفع المنازل في الإسلام بنص قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء» (أ) ولم يرفعهم إلى هذه المنزلة الرفيعة إلا علمهم وعملهم به وتعليمهم وإرشادهم.

وهذا ما بينه صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ جَاءَ مَسْجدي هَذَا لَمْ يَأْتِهِ إلاَّ لِخَيْرٍ يَتعَلَّمه أَوْ يُعَلِّمهُ فَهُوَ بِمَنْزلَة المجُاهد في سبيل الله» (ب) وقال «ومن سلك طريقاً يلتمسُ فيه علْماً سَهَّلَ الله لَهُ به طريقاً إلى الجنةِ، وما اجتمع قَوْمٌ في بيت مَنْ بُيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسُونَهُ بينهمُ إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكةُ وذكرهم الله فيمنْ عنْدهُ، ومن بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه» (١٠٥) (جـ)

من صور تعظيم أهل العلم والعلماء:

أ ــ توقير العالم وأولاده ومن يتعلق به وذلك بينه العلماء في سلوكهم:

فهذا واحد من كبار أئمة بخارى يجلس مجلس الدرس يقوم في خلال الدرس أحياناً

(أ) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) وابن حبان (موارد الظمآن ٨٠) والحاكم وصححه. وابن ماجه (٢٢٣) والترمذي (٢٦٨٢) والدارمي (٩٨/١) وأحمد (١٩٦/٥) كلهم عن أبي الدرداء وهو جزء من حديث أوله «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً» وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦١٧٣).

(ب) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧) قال الهيثمي في الزوائد اسناده صحيح على شرط ملسم ــ وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦٠٦٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(جـ) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

فسألوه عن ذلك، فقال: «إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكة، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد فإذا رأيته أقوم له تعظيماً لأستاذي» (١٠٦)

ب ــ الصبر على جفوة الشيخ:

علـى طالب العلم أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق ولايصده ذلك عن ملازمته و يتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأو يل و يبدأ هو عـنـد جـفـوة الـشـيـخ بالاعتذار والتوبة مما وقع فإن ذلك أبقى لمودة الشيخ وأحفظ لقلبه وأنفع للطالب في دنياه وآخرته، وإلا فاسمع أحدهم إذ أنشد:

«فاصبرلـدائـك إن جـفـوت طـبـيـبـه　　　واصبر لجـهـلـك إن جفوت معلما»

ولم لا والـفائدة عند الشيخ والخير بين شفتيه، وهذا أمر كان يفقهه العلماء، و ينبه الإمام الـشـافـعـي رحـمـه الله فـي روايته عن سفيان بن عيينه حين قال: «قيل لسفيان إن قوما يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم، يوشك أن يذهبوا و يتركوك. فقال للقائل: هم حمقى إذاً مثلك إن تركوا ماينفعهم لسوء خلقي».

جـ ــ الهيبة للشيخ:

وذلـك كان حال السلف من قبل فهاهو الشافعي يبين صورة الرهبة فيقول: «كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها»... ولهذا قال الربيع: والله مـا اجـترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له».. لذلك قيل: إنما ينتفع المـتـعـلم بكلام العالم إذا كان في المتعلم ثلاث خصال: التواضع،والحرص على التعلم، والـتـعظيم للعالم. فبتواضعه ينجح فيه العلم، وبحرصه يستخرج العلم،و بتعظيمه يستعطف العالم.

وهـذا سـفـيـان الـثـوري رحـمـه الله يسمع بأن عالم أهل الشام الإمام عبد الرحمن بن عـمـرو الأوزاعي قادم إلى مكة فيخرج سفيان يستقبل ضيفها الأوزاعي حتى لقيه بذي طوى فـحل رسن بعير الإمام من القطار و وضعه على رقبته فكان إذا مر بجماعة يشغلون الطر يق قال: (الطر يق للشيخ) (١٠٧).

وكـان مـن تقدير طالب العلم لشيخه أنه إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللـهـم استر عيب شيخي عني ولا تذهب علمه مني... وكل ذلك حتى لا يؤذي شيخه لأنَّ من تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولاينتفع به إلا قليل كما يقول الشاعر:

«إن المعلم والطبيب كليهما لاينصحان إذا هما لم يُكرما»

كل هذا للعالم... فمن هذا العالم؟.. أصبح الناس الآن يظنون أنَّ العالم هو من جمع المعلومات وخزنها في دماغه فلا ينفق منها إلا إذا نال من الدنيا مايقابلها: «تعس عبدُ الدينار وعبدُ الدرهم وعبدُ الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»(أ) وهذا من البلاء الذي حل بأمتنا... وحري بنا أن نسمع قول الإمام البصري رحمه الله مبيناً من هو العالم حين يقول: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض الناس العفيف عن أموالهم الناصح لهم». وهذا ماعناه الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه في قوله: «ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقه: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكرالله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبارة ليس فيها تفقه، ولاخير في تفقه ليس فيه تفهم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر»(١٠٨)

هذا العلم وهذا تحصيله وهذا فضله وماسيأتيك فكيفية تدوينه وكتابته.

الكتب في الميزان:

إن أعلى مايعبر به الإنسان عن فكره وأحاسيسه هو الكلام بمجموع ألفاظ مفردات وجملاً، وهو الوسيلة الأولى للخطاب ونشر العلم وكسب المعرفة والإنسان في خطابه وعباراته المنطوقة أقوى على التعبير عما يريد وأفصح من محاولته ذلك بأي وسيلة أخرى. ويلي العبارة المنطوقة في الإفصاح عن الفكر: العبارة المكتوبة ومن ثم كان للكتابة عند الأمم جميعاً أثر بعيد وكان لها الفضل الكبير في حفظ تراث الأمم السابقة في دواوين العلم... لذلك كان للكتب قيمة فعلية مبينة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم تصل إليها كنوز المادة بصورها المختلفة. فعن ابن عباس في قوله تعالى: **(وكان تحته كنز لهما)** قال: (ماكان ذهباً ولا فضة). ولم لايكون كنزاً وهو يقرأ في كل مكان ويظهر مافيه على كل لسان، وموجود في كل زمان مع تفاوت الأعصار وبعد مابين الأمصار. وذلك أمر مستحيل في واضع الكتاب والمنازع بالمسألة والجواب. فقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى العقل ويبقى أثره، ولولا مارسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من فنون حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بذلك ماغاب

(أ) أخرجه البخاري (فتح الباري ٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥) وابن ماجه (٤١٣٦) واللفظ له عن ابي هريرة.

عنا، وأدركنا به مابعد منا وجمعنا إلى كثيرهم قليلنا، وإلى جليلهم يسيرنا وعرفنا مالم نكن نعرفه إلا بهم وبلغنا الأمر الأقصى بقريب رسومهم ولهذا أنشد الشاعر فقال:

«أرى العلماء أطولنا حياة	وإن أضحوا زماناً في القبور
أناس غيبوا وهم شهود	بما ابتدعوه من علم خطير
كأنهم حضور وهي تجري	محاسن ذكرهم عند الحضور
لئن ملئت قبورهم ظلاماً	فإنّ ضياءهم ملء الصدور»(١٠٩)

ولهذه القيمة للكتب كان العقلاء يهتمون بها فانظر مثلاً إلى المأمون حين رأى بعض ولده وبيده دفتر فقال: ماهذا يابني؟ قال: بعض مايشحذ الفطنة ويؤنس في الوحدة فقال المأمون: «الحمدلله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه». وقد كان المأمون يفهم هذه الأمور لذلك كان يوصيهم فيقول لأحدهم: (اكتب أحسن ماتسمع،واحفظ أحسن ماتكتب،وحدث بأحسن ماتحفظ)(١١٠)

وقد كان الكتاب خير جليس لكلّ ذي عقل. وقد قيل لبعض أصحاب العقل: أما تستوحش؟ فقال يستوحش من معه الأنس كله؟ قيل: وماالأنس كله؟ قال: الكتاب... وفي أحد المجالس قال بعض الوزراء: ياغلام ائتني بأنس الخلوة ومجمع السلوة فظنّ جلساؤه أنه يستدعي شراباً، فأتاه بسفط فيه كتاب... الله أكبر ماأجمله من أنيس تؤدبك عجائبه وتسرك طرائفه وتضحكك ملحه ونوادره، وهو نزهة الأديب عند لذته ومتعته عند خلوته وتحفته عند نشاطه وأنسه عند انبساطه ومستراحه من همه ومسلاته من غمه وعوضه من جليس السوء وسخف الأماني ومستقبح الشهوات وهو روضة مجلسه وبستان يده وأنيس يتقلب معه.

ومن فوائد النظر في الكتب:

أنها تعطي صفة الحكمة لصاحبها وذلك كما يقول عمرو بن العلاء: «مادخلت على رجل قط ولامررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ إلا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلاً» كما أنه يساعد على الحفظ وهذا مابيّنه شيخ الحفاظ عبدالله محمد ابن إسماعيل حين سئل عن دواء للحفظ فقال: «إدمان النظر في الكتب».(١١١)

لهذا كان محل الكتب من العالم محل الروح من الجسد والعافية من البدن، فهذا أبوأيوب سليمان بن داود الشاذكوني من الحفاظ الكبار توفي في أصفهان سنة ٢٣٤ رؤي بعد موته، فقيل له: (مافعل الله بك قال: غفر لي. فقيل: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان فأخذني المطر وكان معي كتب ولم أكن تحت سقف ولا شيء. فانكببت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر فغفر الله لي بذلك في آخرين».(١١٢)

نعم بهذا الحرص عاش السلف رضوان الله عليهم مع كتبهم وعلمهم فكانوا مناراً وهدى للسائرين على طريق العلم والعمل فهيّا جميعاً نشمر ونسير على هديهم ومنارهم لنقوم بحق هذا الدين الذى أخذنا أمانته بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد الأمين.

هوامش البحث

١) أخلاق العلماء ، ص ٤٧

٢) أعلام الموقعين ، ج ١، ص ١١

٣) من مقالات فقه الدعوة ـــ المجتمع

٤) الاحياء، ج ١، ص ٧

٥) الظلال، ج ٦، ص ٣٤٤٦

٦) الاحياء ج ١، ص ٦، ١١

٧) الاحياء ج ١، ص ٦، ١١

٨) جامع بيان العلم وفضله، ص ٢٨

٩) جامع بيان العلم وفضله، ص ٢٩

١٠) تعليم المتعلم، ص ٥

١١) لمحات في البحث والمكتبة والمصادر، ص ١٥

١٢) لمحات في البحث والمكتبة والمصادر ص ١٣ ـــ ١٦

١٣) الفوائد ص ٩٧

١٤) المدارج ج ٣، ص ٢٦١، ٢٦٢

١٥) منهج جديد للتربية والتعليم، ص ١٢٢١١ بتصرف

١٦) الوصايا الخالدة ص ٢٠٢ بتصرف

١٧) تعليم المتعلم ص ٤، ٥

١٨) من جامع بيان العلم وفضله، ص ٣١

١٩) من جامع بيان العلم وفضله، ص ٣٢

٢٠) من جامع بيان العلم وفضله، ص ٣٥

٢١) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٨
٢٢) التربية والتعليم في الاسلام ص ٤٦
٢٣) صفحات من صبر العلماء ص ٥٤، ٥٥
٢٤) بقلم المتعلم ص ٤٩
٢٥) تعليم المتعلم
٢٦) تذكرة السامع
٢٧) تعليم المتعلم طرق التعلم ص ١٤
٢٨) تعليم المتعلم طرق التعلم ص ١٣
٢٩) تعليم المتعلم طرق التعلم ص ٢٢، ٢٣
٣٠) تعليم المتعلم طرق التعلم
٣١) جامع بيان العلم وفضله
٣٢) صفحات من صبر العلماء ص ٣٨
٣٣) صفحات من صبر العلماء ص ٣٩
٣٤) دعوة الاسلام ، سيد سابق
٣٥) جامع بيان العلم وفضله ص ١١٣
٣٦) جامع بيان العلم وفضله ص ١١٣
٣٧) تدريب الراوي ص ١٣٢
٣٨) تذكرة السامع
٣٩) جامع بيان العلم وفضله ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧
٤٠) تعليم المتعلم طريق المتعلم ص ٣٧
٤١) تذكرة السامع ص ٧٣

٤٢) تعليم المتعلم ص ٤١

٤٣) تعليم المتعلم ص ٤٢

٤٤) دعوة الاسلام، سيد سابق ص ٥٢

٤٥) علم النفس التربوي ص ٢٧٧

٤٦) تعليم المتعلم ص ٣٣

٤٧) جامع بيان العلم وفضله ص ١٠٠

٤٨) تذكرة السامع ص ١٣٤

٤٩) التربية والتعليم في الاسلام ص ١٥٥

٥٠) احياء علوم الدين ج ١، ص ٤٥

٥١) السلوك الاجتماعي ج ١، ص ٩٤

٥٢) أخلاق العلماء ص ٦٩

٥٣) تذكرة السامع، ص ٤٠

٥٤) احياء علوم الدين ج ١، ص ٤٧

٥٥) أخلاق العلماء ص ٦٠

٥٦) تذكرة السامع الحاشية، ص ٤٠

٥٧) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦٧ بتصرف

٥٨) جامع البيان ص ١٢٣ ــ ١٢٤

٥٩) جامع البيان ص ١١٦

٦٠) تذكرة السامع الهامش ص ٧٣

٦١) في علم النفس التربوي، ص ٢٧٢، ٢٧٤

٦٢) في علم النفس التربوي، ص ٣.٥، ٣٠٩

٦٣) العالم والمتعلم ص ٥٩

٦٤) من مقالات فقه الدعوة ــ المجتمع

٦٥) جند الله ثقافة وأخلاق، ص ١٦٣ بتصرف

٦٦) تذكرة السامع، ص ٦٩

٦٧) السلوك الاجتماعي ج ٤، ص ١٤٢

٦٨) أخلاق العلماء ص ٩٢

٦٩) أخلاق العلماء ص ٧٩

٧٠) الظلال ج ٥، ص ٢٩٤٣ بتصرف

٧١) الظلال ج ٥، ص ٢٧٤٦ بتصرف

٧٢) جامع بيان العلم وفضله ص ١٢٩

٧٣) تعليم المتعلم طريق التعلم، ص ١٠

٧٤) العالم والمتعلم، ص ٣٢

٧٥) الظلال ص ٣١٢١

٧٦) أخلاق العلماء ص ٨٩

٧٧) قواعد التمرين من فنون مصطلح الحديث ص ٣٩٣

٧٨) الاحياء ج ١، ص ٥١ ــ ٦٠ بتصرف

٧٩) تلبيس إبليس، ص ١٢٩ بتصرف

٨٠) الفوائد، ص ٥٥

٨١) الاحياء مجلد ٢١ ص ٥١ ــ ٦٠ بتصرف

٨٢) جواهر البخاري، ص ٥٣ ــ ٥٤

٨٣) الفوائد ص ٣٧

٨٤) أخلاق العلماء ص ٩٥

٨٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١، ص ١٥٢

٨٦) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص ٢٣٣

٨٧) الاحياء ج ١

٨٨) الاحياء ج ١ ص ٦٨

٨٩) الفوائد ص ١٧٥

٩٠) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٣٧

٩١) بتصرف تذكرة السامع

٩٢) تدريب الراوي ج ١، ص ٥٨ بتصرف

٩٣) أعلام الموقعين ج ١، ص ٣٥

٩٤) تذكرة السامع ص ٣١ — ٣٩

٩٥) تدريب الراوي ص ١٤٠

٩٦) تدريب الراوي ص ١٤٠

٩٧) الاحياء، ص ٦٩ ج ١

٩٨) الاحياء ج ١ ، بتصرف ص ٧٥

٩٩) تذكرة السامع ص ١٥ — ٢٦

١٠٠) مع الرعيل الأول

١٠١) تدريب الراوي ١٤٨

١٠٢) تذكرة السامع ص ١٠٠

١٠٣) أخلاق العلماء ص ٦٢

١٠٤) لمحات في البحث والمكتبة والمصادر

١٠٥) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ١٧

١٠٦) مع الرعيل الاول

١٠٧) اخلاق العلماء ص ٨٣

١٠٨) تقييد العلم ص ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩

١٠٩) تقييد العلم ص ١٤٢

١١٠) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٤٩

١١١) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ص ٩٥

فهرس بحث العلم بين يدي العالم والمتعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مراجع التحقيق والتخريج

الرقم	اسم المرجع	المؤلف	الناشر والطبعة
١	المعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوي		
٢	جامع الأصول في أحاديث الرسول		
٣	فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	المطبعة السلفية ومكتبتها
٤	مسند الإمام أحمد ابن حنبل		المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
٥	سنن الترمذي	تحقيق أحمد شاكر	مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
٦	سنن ابن ماجة	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي	عيسى البابي الحلبي وشركاه
٧	سنن الدارمي	محمد محيي الدين عبد الحميد	دار احياء السنة النبوية
٨	اللؤلؤ والمرجان فيا اتفق عليه الشيخان	محمد فؤاد عبدالباقي	المطبعة العصرية/الكويت
٩	سنن أبي داود	محمد محي الدين عبد الخميد	دار احياء السنة النبوية
١٠	الترغيب والترهيب في الحديث الشريف		دار احياء التراث العربي بيروت ــ لبنان
١١	مشكاة المصابيح/للخطيب التبريزي	تحقيق الألباني	المكتب الاسلامي
١٢	صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير	الألباني	
١٣	ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير	الألباني	
١٤	صحيح مسلم		دار التراث العربي
١٥	مختصر صحيح مسلم		

١٦	موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان	للهيثمي	دار الكتب العلمية
١٧	سنن النسائي	بشرح السيوطي	دار احياء التراث العربي
١٨	سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألباني	المكتب الاسلامي
١٩	سلسلة الأحاديث الضعيفة	الألباني	
٢٠	رياض الصالحين	الامام النووي	
٢١	فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد	فضل الله الجيلاني	المطبعة السلفية
٢٢	جمع الفوائد وأعذب الموارد	محمد بن محمد بن سليمان	مطبعة دار التأليف/ القاهرة الطبعة ١٣٨١
٢٣	موطأ الامام مالك		دار النفائس
٢٤	البداية والنهاية	ابن كثير	مكتبة المعارف/بيروت
٢٥	حياة الصحابة	يوسف الكاندهلوي	
٢٦	صفة الصفوة	ابن الجوزي	دار الوعي بحلب
٢٧	أحكام الجنائز	الألباني	
٢٨	الأربعون النووية	النووي	
٢٩	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبدالبر	مطبعة العاصمة/القاهرة
٣٠	السيرة النبوية	للندوي	دار الشروق
٣١	مفتاح الصحيحين		
٣٢	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	الطبري	مطبعة/مصطفى البابي الحلبي
٣٣	تفسير ابن كثير		دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه
٣٤	فقه السيرة	الغزالي	
٣٥	صحيح الكلم الطيب		
٣٦	التيسير بشرح الجامع الصغير	المناوي	المكتب الاسلامي
٣٧	شرح السنة	البغوي	الطبعة الأولى/ المكتب الاسلامي

٣٨	إحياء علوم الدين	بتحقيق العراقي	
٣٩	مجمع الزوائد	الهيثمي	الطبعة الثانية/دار الكتب/بيروت
٤٠	مسند الحُميدي		
٤١	تيسير العزيز الحميد	عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالوهاب	المكتب الاسلامي

من أصول دعوتنا

الأصل الأول ــ الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

الأصل الثانى ــ «القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام. ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف. ويرجع في فهم السنة المطهرة الى رجال الحديث الثقاة».

الأصل الثالث ــ وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من شاء من عباده. ولكن الالهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

الأصل الرابع ــ والتمائم والمرض والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ماكان من هذا الباب منكر تجب محاربته إلا ماكان آية من قرآن أو رقية مأثورة.

الأصل الخامس:

١ ــ وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

٢ ــ وكل ماجاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه والا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع. ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد أفضوا الى ماقدموا.

الأصل السادس ــ والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي الى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب.

الأصل السابع ــ وكل مسألة لا ينبني عليها عمل الخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل اليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفي التأويل مندوحة.

الأصل الثامن ــ وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداؤهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال سداً.

الأصل التاسع ــ وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء [illegible] التي لا تؤدي الى ماهو شر منها.

الأصل العاشر ــ لا نكفر [illegible] وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض [illegible] أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً [illegible] كذب صريح القرآن أو فسر[illegible] أساليب اللغة العربية بحال أو [illegible] تأويلاً غير الكفر.